SATOSHI YAGISAWA
أيام في مكتبة موريساكي
سر من قرأ
رواية
ساتوشي ياجيساوا

أيام في مكتبة موريساكي

ساتوشي ياجيساوا

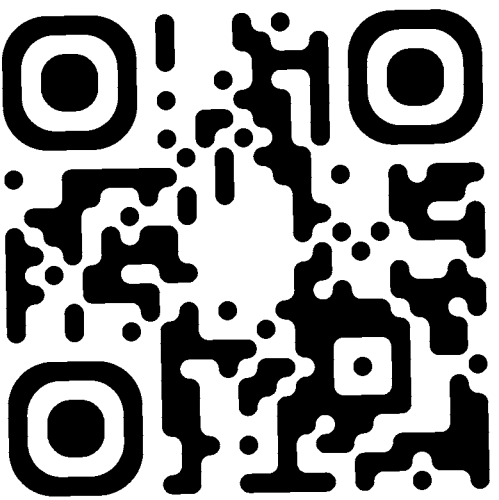

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

- منشورات ورقة وقلم
توزيع مكتبة اربيلا
- أيام في مكتبة موريساكي
الكاتب: ساتوشي ياجيساوا
ترجمة: أحمد كريم
- عدد الصفحات: 199
تم الطبع في اربيل - العراق
الطبعة الثانية – 2025
- الإخراج الداخلي والخارجي: أحمد كريم
Isbn: 978-9933-10001-0001-5

مكتبة
t.me/soramnqraa

SATOSHI YAGISAWA

أيام في مكتبة موريساكي

مكتبة
t.me/soramnqraa

ساتوشي ياجيساوا

الفصل الاول

1

من أواخر الصيف حتى أوائل الربيع من العام التالي، عشت في مكتبة موريساكي. قضيت تلك الفترة من حياتي في الغرفة الاحتياطية بالطابق الثاني من المتجر، محاولًا أن أدفن نفسي في الكتب. كانت الغرفة الضيقة بالكاد تحصل على أي ضوء، وكل شيء فيها كان رطبًا. وكانت تفوح منها باستمرار رائحة الكتب العتيقة العفنة.

لكنني سأظل دائمًا أتذكر الأيام التي قضيتها هناك. لأن تلك الأيام هي التي بدأت فيها حياتي الحقيقية. وأنا أعلم، بلا أدنى شك، أنه لولا تلك الأيام، لكانت بقية حياتي باهتة ورتيبة ووحيدة.

مكتبة موريساكي عزيزة عليّ. إنها مكان أعلم أنني لن أنساه أبدًا.

عندما أغمض عينيّ، تعود إليّ الذكريات بوضوح شديد.

لقد بدأ كل شيء كوميض برق في سماء زرقاء صافية. لا، ما حدث كان أكثر صدمة من ذلك، بل وأكثر إثارة للدهشة من رؤية الضفادع تمطر من السماء في عاصفة مفاجئة.

في أحد الأيام، هيدآكي، صديقي الذي كنت أواعده لمدة عام، فجأة قال لي دون مقدمات: "أنا سأتزوج."

عندما سمعت كلماته لأول مرة، امتلأ عقلي بالأسئلة. لو كان قد قال: "فلنتزوج"، لكنت فهمت. أو لو قال: "أريد أن اتزوج"

لكن عبارة "أنا سأتزوج" بدت غريبة جدًا. فالزواج، في النهاية، هو اتفاق متبادل، لذا كانت الجملة من الناحية النحوية غير صحيحة تمامًا. ثم، ماذا عن الطريقة العفوية التي قالها بها؟ كانت فظة للغاية. نبرة صوته كانت تمامًا كما لو أنه يقول: "مرحبًا، لقد وجدت مئة ين ملقاة على جانب الطريق."

كان ذلك مساء يوم جمعة في منتصف شهر يونيو. كنا نتناول عشاءً لطيفًا معًا بعد العمل في مطعم إيطالي في شينجوكو .كان المطعم يقع في الطابق العلوي من فندق، لذا استمتعنا بإطلالة جميلة على المدينة ليلًا، مع كل تلك الأضواء النيونية المتلألئة. كان ذلك المكان المفضل لدينا.

هيدآكي، الذي كان يكبرني بثلاث سنوات في العمل، كان الشخص الذي كنت معجبة به سرًا منذ أول يوم بدأت فيه عملي. مجرد وجودي معه كان يجعل قلبي يقفز في صدري كما لو كان على الترامبولين. تلك الليلة كانت المرة الأولى التي نكون فيها وحدنا منذ وقت طويل، لذا وبينما كنت أرتشف نبيذي، كنت في مزاج رائع.

لكن بعد ذلك...

دون تفكير، قلت: "هاه؟" ظننت أنني ربما سمعت خطأ. لكنه كرر ما قاله بنفس الطريقة الجادة: "يبدو أنني سأتزوج العام القادم."

"الزواج؟ من سيتزوج من؟"

"أنا. منها."

"هاه؟" كنت لا أزال في حيرة. "من هي؟"

ثم، ذكر اسم فتاة تعمل في قسم آخر من الشركة، دون أدنى شعور بالذنب في صوته. لقد تم تعيينها في نفس الوقت الذي انضممت فيه، وكانت تبدو جميلة جدًا لدرجة أنني حتى رغبت في معانقتها.

بالمقارنة بها، كنت أطول منها وأكثر عادية في المظهر. لم أستطع أن أفهم لماذا فكر حتى في الارتباط بي بينما كان يواعد فتاة جميلة مثلها.

عندما سألته، قال إنهما كانا معًا لمدة عامين ونصف. بعبارة أخرى، كانا معًا لفترة أطول مما كنت معه. بالطبع، لم يكن لدي أدنى فكرة عن أنه كان على علاقة بشخص آخر. لم أشك في ذلك أبدًا. لم يخطر ببالي حتى هذا الاحتمال. لقد أبقينا علاقتنا سرية في العمل، لكنني افترضت فقط أن ذلك لتجنب إحراج الآخرين. لكن، ومنذ البداية، لم أكن خياره الأول أبدًا، كنت مجرد شخص ليتسلى به. كيف لم أدرك ذلك؟ إما أنني كنت بطيئة الفهم، أو أن هناك شيئًا غير سوي فيه.

على أي حال، كان الاثنان قد التقيا بالفعل بعائلتيهما، وستُقدَّم هدايا الخطوبة الشهر المقبل. شعرت بدوار، كما لو أن راهبًا قرع جرس معبد داخل رأسي. كان بإمكاني سماع صدى الصوت.

"إذن، إقامة الزفاف في يونيو ستكون فكرة رائعة، أليس كذلك؟ لكنها لم تطلب ذلك، والآن، بالطبع، فات الأوان لهذا العام، ولهذا..."

جلست هناك، شاردة الذهن، أستمع إلى الكلمات التي تخرج من فمه. ثم تمتمت: "آه، هذا جيد." حتى أنا فوجئت بما قلته.

"أوه، شكرًا، لكنك تعلمين، لا يزال بإمكاننا رؤية بعضنا أحيانًا" قالها بابتسامة عريضة. كانت تلك ابتسامته المعتادة—يا له من رجل رياضي الروح! لم يكن يبدو عليه أي هم في الدنيا.

في أي دراما ميلودرامية، كان هذا هو اللحظة التي أقف فيها وأرمي نبيذي في وجهه. لكنني لم أكن أبدًا جيدة في التعبير عن مشاعري بهذه الطريقة. لا أستطيع استيعاب ما أشعر به حقًا إلا عندما أكون وحدي، وأعيد التفكير في كل شيء. ثم إن جرس المعبد الذي كان يرن داخل رأسي أصبح صاخبًا جدًا لدرجة أنني لم أعد أستطيع التفكير.

ما زلت مذهولة، ودعته وعدت إلى شقتي وحدي. وعندما استعدت وعيي أخيرًا، اجتاحتني موجة مفاجئة من الحزن. كان الحزن أقوى بكثير من الغضب، كان حزنًا عنيفًا، محسوسًا بشدة، لدرجة أنني شعرت وكأنني أستطيع لمسه.

انهمرت الدموع من عيني. شعرت وكأنها لن تتوقف أبدًا. لكن مهما بكيت، لم أتمكن من استعادة توازني. لم أكن قد أضأت الأنوار حتى. فقط جلست على الأرض في وسط الغرفة، غارقة في البكاء. راودتني فكرة سخيفة أنه لو كانت كل هذه الدموع زيتًا، لكنت أصبحت غنية، لكنها كانت فكرة غبية لدرجة أنها جعلتني أبكي أكثر.

"أحدهم ليساعدني." فكرت في نفسي. كنت جادة. لكنني لم أستطع أن أرفع صوتي. لم أستطع فعل أي شيء سوى البكاء.

بعد ذلك، كانت مجرد سلسلة من الأمور الفظيعة، واحدة تلو الأخرى.

بما أننا كنا نعمل في نفس المكتب، كان عليّ أن أراه باستمرار، مهما كرهت ذلك. ولم يتوقف عن التواصل معي بنفس القدر كما كان من قبل، مما كان مؤلمًا للغاية. ولجعل الأمور أسوأ، كنت أجد نفسي ألتقي بخطيبته دائمًا في غرفة الاستراحة أو الكافتيريا. وفي كل مرة يحدث ذلك، كانت تبتسم لي بتلك الابتسامة المشرقة، ولم أكن أعرف ما إذا كانت على علم بنا أم لا.

لم يمض وقت طويل حتى بدأ معدتي ترفض الطعام. لم أكن أستطيع النوم ليلًا. فقدت وزني بسرعة كبيرة، وعلى الرغم من محاولتي إخفاء ذلك بالمكياج، أصبح وجهي شاحبًا لدرجة أنني كنت أبدو كجثة.

في منتصف العمل، كانت الدموع تنهمر على وجهي. بكيت مرات لا تحصى، مختبئة داخل إحدى كبائن الحمام، محاولة كتم صوت نشيجي.

بعد أسبوعين من هذا العذاب، وصلت إلى الحد الأقصى، جسديًا ونفسيًا. أخيرًا، ذهبت إلى مشرفي وقدمت استقالتي.

في آخر يوم لي في العمل، جاء إليّ هيدآكي وقال بصوت مرح: "فقط لأنك استقلتِ، لا يعني أننا لا يمكننا تناول العشاء معًا، أليس كذلك؟"

لقد فقدت حبيبي وعملي في نفس الوقت. شعرت وكأنني قد ألقيت فجأة إلى الفضاء الخارجي.

أنا من كيوشو، وأتيت إلى طوكيو للعمل بعد تخرجي من جامعة محلية في الجنوب. لهذا السبب، كان الأشخاص الوحيدون الذين أعرفهم في المدينة هم

زملائي في المكتب. وبما أنني خجولة ولم أكن جيدة أبدًا في تكوين صداقات، لم يكن هناك أحد في طوكيو قريب مني حقًا.

عندما أنظر إلى الوراء، فإن الكلمة التي تلخص حياتي حتى هذه اللحظة، على مدار خمسة وعشرين عامًا، هي "مقبولة" وُلدت في عائلة ميسورة الحال إلى حد مقبول، وتخرجت من مدرسة جيدة بما يكفي، وحصلت على وظيفة في شركة جيدة بما يكفي.

كان لقائي بهيدآكي يعني لي الكثير في ذلك الوقت. بالنسبة لشخص مثلي، كان العثور على حبيب مثله بمثابة معجزة. كنت أحبه لدرجة أنني بالكاد أستطيع تحمله. المشكلة أنني لم أكن مستعدة لهذه الصدمة مطلقًا، ولم يكن لدي أي فكرة عن كيفية التعامل معها.

الطريقة التي لجأت إليها للتأقلم كانت أن أكرس حياتي للنوم. حتى أنا كنت متفاجئة من مدى النعاس الذي شعرت به. أعلم أن ذلك كان على الأرجح طريقة جسدي لمساعدتي على تجنب الواقع، ولكن بمجرد أن أغرق نفسي في الأغطية، كنت أنام على الفور. قضيت أيامًا في سبات عميق في غرفتي الصغيرة، وكأنني أنجرف وحيدة في الفضاء الخارجي.

ربما قضيت شهرًا على هذا الحال. كنت أتجاهل هاتفي تمامًا، ثم ذات ليلة، عندما استيقظت، لاحظت أن لدي رسالة صوتية. لم أتعرف على الرقم الذي ظهر على الشاشة لكنني قررت الاستماع إليه. فجأة، سمعت صوتًا مرحًا يقول: "مرحبًا، مرحبًا!"

"تاكاكو؟ كيف حالك؟ أنا ساتورو! أنا أتصل من المكتبة. اتصلي بي. لاحقًا لا بأس. أوه، يا إلهي، لدي زبون الآن. يجب أن أذهب. سنتحدث قريبًا."

جلست للحظة، مشوشة .ساتورو؟ من؟ لم يكن لدي أي فكرة. لقد قال اسمي، لذا لم يكن رقمًا خاطئًا. لكن ما هذه المكتبة؟ مكتبة... أعدت الكلمة في رأسي مرارًا وتكرارًا—ثم فجأة، أدركت.

ساتورو هو عمي ساتورو !الآن بعدما فكرت في الأمر، تذكرت أنني سمعت من أمي منذ فترة أنه تولى إدارة المكتبة في جيمبوتشو، والتي أسسها جدي الأكبر. آخر مرة رأيته فيها كنت في سنتي الأولى من المدرسة الثانوية، لذا لم نرَ بعضنا البعض منذ ما يقارب عقدًا من الزمن، لكنني كنت متأكدة أن هذا كان صوته.

ثم بدأت أشك في أن والدتي تقف وراء هذا الأمر. نعم، لا بد أنها هي. كانت الشخص الوحيد الذي أخبرته أنني تركت وظيفتي وانفصلت عن صديقي.

لا بد أنها طلبت منه معروفًا لأنها كانت قلقة جدًا عليّ. لكن حتى مع ذلك، لم يكن هذا سببًا كافيًا.

بصراحة، لم أكن معجبة بعمي ساتورو كثيرًا. كان غير تقليدي لدرجة يصعب فهمها. لم يكن لديه أي حواجز، بغض النظر عمن حوله. كان دائمًا يلقي النكات الصغيرة ويضحك على نفسه. كان غريبًا، وجعله ذلك يبدو وكأنه شخص غريب الأطوار، وهذا كان يزعجني.

لكن عندما كنت صغيرة، كنت أحب شخصيته. كنا نلعب معًا في غرفته عندما كانت أمي تأخذني معها إلى طوكيو لزيارة عائلتها. ولكن مع اقترابي من سن

المراهقة، أصبحت غرابته منفرة للغاية، وبدأت أتجنبه سرًا. ثم، فوق كل ذلك، تزوج فجأة—على الرغم من أنه لم يكن لديه وظيفة ثابتة بعد. ومنذ ذلك الحين، بطريقة أو بأخرى، بدا دائمًا وكأنه يتسبب في المشاكل للعائلة.

لهذا السبب، عندما جئت إلى طوكيو، لم يخطر ببالي أبدًا أن أذهب لرؤيته. كنت أحاول ألا يكون لي أي علاقة به.

في فترة بعد الظهر، بعد أن استمعت إلى رسالته الصوتية، اتصلت به على مضض. كنت أستطيع أن أتخيل أمي تفقد أعصابها بغضب شديد لو لم أعد الاتصال. وبما أن عمي كان في منتصف العشرينيات عندما كنت في المدرسة الابتدائية، فلا بد أنه قد تجاوز الأربعين الآن.

في الرنة الأولى، أجاب شخص ما.

"مرحبًا، هذه مكتبة موريساكي."

"مرحبًا، أنا تاكاكو."

"أوه، مرحبًا!" سمعت عمي يصرخ بحماس على الطرف الآخر من الخط. كانت تلك نفس الطاقة التي أتذكرها من الأيام القديمة. أسرعت بإبعاد الهاتف عن أذني.

"لقد مر وقت طويل! كيف حالك؟"

"آه، حسنًا..."

"كنت أعلم أنكِ في طوكيو، لكنكِ لم تأتي لزيارتي أبدًا"

"آسفة بشأن ذلك. كنت مشغولة بالعمل"، اعتذرت تلقائيًا.

"لكنّكِ استقلتِ، أليس كذلك؟"

دخل في صلب الموضوع مباشرة. تمتمت برد غير واضح. لم يكن هذا الرجل ممن يمكن توقع اللباقة منهم. استمر عمي في الحديث، يخبرني كيف أن هذا يذكره بالأيام القديمة، مسترسلًا في الكلام دون توقف—حتى قال فجأة: "اسمعي، كنت أفكر، إذا كنتِ لا ترغبين في العمل الآن، ما رأيكِ أن تأتي وتبقي هنا؟"

"ماذا؟" فاجأني عرضه المفاجئ.

لكنه استمر في الإلحاح للحصول على إجابة. "المال الذي تنفقينه على الإيجار والمرافق ليس بالأمر البسيط. إذا أتيتِ إلى هنا، فكل شيء سيكون مجانيًا. حسنًا، أقصد ربما يمكنكِ مساعدتي قليلًا في المكتبة."

عندما سألته عن الأمر، أوضح أنه كان يدير المتجر بمفرده تمامًا. كان بحاجة إلى شخص يفتح المكتبة في الصباح بينما يذهب إلى مواعيده في المستشفى لتلقي العلاج من آلام ظهره. كان يعيش في منزل في *كونيتاتشي*، لذا سيكون المكان لي وحدي عندما تُغلق المكتبة. طمأنني بأنني سأحظى بخصوصية تامة. كان المكان في السابق سكنًا حتى سنوات قليلة مضت، لذا كان مجهزًا بالكامل بحمام مناسب.

فكرت في الأمر للحظة. كنت أعلم أن وضعي الحالي لا يمكن أن يستمر إلى الأبد.

إذا واصلت العيش بهذه الطريقة، فسوف ينفد مالي قريبًا. من ناحية أخرى، لم تعجبني فكرة تدخل أي شخص في حياتي.

"لكنني متأكدة أنني سأكون عبئًا"، قلت، محاوِلة رفض العرض.

لكن عمي لم يأخذ التلميح على الإطلاق.

"عبء؟ هذا كلام فارغ. سيكون من دواعي سروري أن تكوني هنا."

هل وافقت العمة موموكو أيضًا؟ كدت أطرح هذا السؤال، لكنني أدركت الأمر بسرعة. هذا صحيح. زوجته، موموكو، غادرت وتركته منذ سنوات. كان ذلك حدثًا كبيرًا في عائلتنا. عندما هربت، بدا مكتئبًا جدًا لدرجة أن والدتي كانت قلقة من أن تتأثر صحته أيضًا.

أتذكر أنني شعرت بالأسف تجاه عمي عندما سمعت الخبر، لكنه تركني بشعور غريب. لم يكن منطقيًا. في زفافهما، بدا الاثنان وكأنهما واقعان في الحب بشدة. كانت العمة موموكو طيبة القلب ولطيفة. لم تكن من النوع الذي يبدو عليه أنه سيهرب.

كنت أتذكر كل هذا بينما كنت أتمتم أثناء المحادثة. أما عمي، في الوقت نفسه، فكان يحاول التعجيل بالخطة.

"رائع. لقد تقرر الأمر إذن."

حاولت مرة أخرى تأجيله. "لكن ماذا عن أشيائي؟" قلت، لكنه أخبرني أن لديه مساحة في منزله في *كونيتاتشي* لكل ذلك. يمكنني إرسال كل شيء إلى هناك وأخذ بعض الحقائب الصغيرة فقط معي إلى المتجر.

بدا الأمر وكأنني قد هُزمت من جميع الجوانب.

"ثقي بي، تاكاكو. سيكون هذا أفضل لكِ أيضًا."

لكن كيف لي أن أثق بشخص لم أره منذ عقد كامل؟

"حسنًا، سأبدأ بتجهيز الأمور هنا"، قال عمي، ثم، دون أن ينتظر ردّي، أخبرني أن زبونًا قد دخل المتجر للتو، وأن علينا التحدث لاحقًا. ثم أغلق الهاتف.

جلست هناك لفترة، مشوشة، أستمع إلى نغمة الإغلاق.

2

بعد أسبوعين، كنت واقفة في محطة جيمبوتشو. كيف انتهى بي المطاف إلى هنا؟ في لحظة، تغيرت حياتي بسرعة لدرجة أنني ما زلت أشعر بالدوار بسبب ذلك.

بعد حديثي مع عمي، تلقيت مكالمة من والدتي. "إذن، ما قرارك؟" سألتني. "هل ستعودين إلى كيوشو أم ستذهبين إلى مكان *ساتورو*؟" على مضض، اخترت الذهاب إلى منزل عمي. كنت أعلم أنه إذا عدت إلى المنزل، فمن المحتمل أن يُفرض عليّ زواج مرتب، ولن أعود إلى هنا أبدًا. بعد كل العناء الذي تحملته لأنتقل إلى *طوكيو*، لم أستطع تحمل فكرة العودة بهذه الطريقة والاعتراف بأن كل شيء كان مجرد فشل ذريع.

الخروج لأول مرة منذ وقت طويل جعلني أشعر بعدم الثبات على قدمي، لكنني تمكنت من الوصول إلى جيمبوتشو بالقطار بطريقة ما. ومع ذلك، بمجرد أن خرجت من محطة المترو إلى السطح، شعرت بأشعة الشمس الحارقة تضغط عليّ. كان موسم الأمطار قد انتهى تمامًا وأفسح المجال للصيف بينما كنت نائمة.

فوق رأسي، كانت الشمس تحدق بي بقوة، وكأنها صبي مراهق. عندما استقلت من عملي، بدا لي أن حرارة الصيف الحقيقية لا تزال بعيدة. جعلني ذلك أشعر بالحزن قليلًا—حتى الفصول بدت وكأنها تخونني.

هذه كانت المرة الأولى التي أزور فيها جيمبوتشو في حياتي. كان منزل جدي في *كونيتاتشي*، على بعد ساعة إلى الغرب من هنا، لذا لم يكن لدينا سبب كافٍ للمجيء إلى هنا.

للحظة، وقفت عند إشارة المرور عند تقاطع الطرق، أدور حول نفسي، محاوِلة استيعاب كل شيء.

كان كل شيء يبدو غريبًا جدًا.

رأيت شارعًا رئيسيًا (أخبرني عمي أنه يُدعى *شارع ياسوكوني*)، وعلى جانبيه كانت هناك صفوف من المكتبات. أينما نظرت، كانت هناك مكتبة أخرى.

عادة، وجود مكتبة واحدة يكفي لشارع واحد. لكن هنا، كانت معظم المتاجر عبارة عن مكتبات. قد تجذب عيناك في البداية المكتبات الكبرى مثل *سانسيدو* و*شوسن*، لكن ما لفت انتباهي حقًا كانت المكتبات الصغيرة التي تبيع الكتب المستعملة. رؤيتها مصطفة على التوالي كان لها تأثير خفي ولكن واضح.

على الجانب الآخر من الشارع باتجاه *سوبُودوباشي*، كان هناك عدد قليل من مباني المكاتب الكبيرة، لكنها زادت من الشعور الغريب الذي كان يحيط بالمكان.

ما زلت في حيرة، عبرت تقاطعًا مزدحمًا بموظفي المكاتب خلال استراحة الغداء، وسرت في شارع المكتبات. باتباع توجيهات عمي، غادرت الطريق الرئيسي وانعطفت إلى زقاق صغير يُدعى *ساكورا*. قادني ذلك إلى منطقة مليئة بمكتبات الكتب المستعملة.

تمتمت لنفسي: **"إنه عالم ساحر من الكتب المستعملة."**

بينما كنت واقفة هناك تحت الشمس الحارقة، أحاول معرفة كيفية العثور على متجر عمي، لاحظت رجلًا ينظر نحوي، يلوّح بيديه في الهواء. كان شعره فوضويًا، ويرتدي نظارات سوداء ذات إطار سميك، وكان نحيفًا وصغير الحجم لدرجة أنه بدا كفتى يافع. كان يرتدي قميصًا بنقشة مربعة بأكمام قصيرة، وسروالًا قطنيًا فضفاضًا، وصندلًا. لقد تعرفت على ذلك المظهر على الفور. كان عمي *ساتورو*.

أشرق وجهه بالكامل وهو يقول: "هاي، *تاكاكو* !إذًا، هذه أنتِ فعلًا!"

عند الاقتراب منه، استطعت رؤية أن عمي قد تقدم في العمر كثيرًا. لم يكن هناك ما يخفي التجاعيد العميقة حول عينيه. بشرته، التي كانت يومًا بيضاء كالأميرات التعيسات في القصص الخيالية، أصبحت الآن مغطاة بعدد لا يحصى من بقع الشمس. لكن خلف نظارته، كان لا يزال هناك ذلك البريق الطفولي الغريب في عينيه.

"هل كنتَ تنتظرني أمام المتجر طوال هذا الوقت؟"

"اعتقدت أن هذا هو الوقت الذي ستصلين فيه. كما تعلمين، المنطقة بأكملها ليست سوى مكتبات كتب مستعملة، واحدة تلو الأخرى، وفكرت أنني لا أريدكِ أن تضيعي، صحيح؟ لذا خرجت لأنتظركِ. طوال هذا الوقت، كنت أتوقع أن أرى فتاة مدرسة بزيها الرسمي، لكن في مرحلة ما، يبدو أنكِ قد كبرتِ."

كان ذلك منطقيًا. آخر مرة رأيته فيها كنت في سنتي الأولى من المدرسة الثانوية. كنا قد جئنا إلى طوكيو لإحياء الذكرى السنوية الأولى لوفاة جدي. مرت قرابة عشر سنوات منذ ذلك الحين.

كان لا يزال هو نفسه رغم ذلك. ربما تجاوز الأربعين الآن، لكنه ظل محتفظًا بذلك الأسلوب المنطلق الذي لطالما ميزه.

كان النقيض التام لأي تصور عن الرجل الوقور. وهذا كان أحد الأمور التي لم أستطع تحملها عنه عندما كنت مراهقة. كنت حساسة جدًا حينها بشأن قياس المسافة بيني وبين الآخرين.

بعد أن توقفت عن التحديق في عمي، التفت إلى واجهة المتجر.

"إذًا، هذا هو المتجر الذي أسسه جدي الأكبر."

حدقت في المتجر وفي لافتته التي كُتب عليها:

"مكتبة موريساكي: متخصصة في أدب العصر الحديث."

شعرت بشيء من التأثر عند رؤية ذلك. حتى وإن لم أقابل جدي الأكبر أبدًا، فقد كان أمرًا كبيرًا أن يكون عمي هو الجيل الثالث في عائلتنا الذي يواصل هذا التقليد.

كان عمر المتجر حوالي ثلاثين عامًا، لكنه بدا وكأنه شيء يعود لعصر أقدم. من خلال الأبواب الزجاجية للمبنى الخشبي الصغير المكون من طابقين، كان بالإمكان رؤية الكتب مكدسة معًا.

"المتجر الأصلي كان في *شارع سوزوران* خلال حقبة *تايشو*. بالطبع، لم يعد موجودًا الآن، لذا يمكن اعتبار هذا نوعًا ما *المكتبة الثانية لموريساكي*."

"واو"

"حسنًا، تفضلي، تفضلي بالدخول."

سحب عمي أمتعتي من يدي ودفعني بلطف إلى داخل المتجر. وبمجرد أن خطوت إلى الداخل، ضربتني رائحة العفن.

دون قصد، نطقت الكلمة بصوت عالٍ: "رائحة عفن."

ضحك عمي وصحح لي قائلاً: "افعلي لي معروفًا وحاولي تخيله كرطوبة ما بعد المطر الصباحي."

أينما نظرتِ، كانت هناك كتب. في هذه الغرفة الصغيرة التي بالكاد يصلها ضوء الشمس، كان كل شيء مشبعًا برائحة حقبة *شوا*. كانت الكتب الورقية والمجلدة محشورة بإحكام على الرفوف المنظمة بعناية. أما المجموعات الكاملة من الأعمال الأدبية، فقد كانت مكدسة على طول الجدار. حتى المنطقة خلف الطاولة الصغيرة التي تحوي صندوق الدفع كانت ممتلئة بالكتب. لو حدث زلزال كبير، فمن المؤكد أن كل شيء سينهار، وستُدفنين تحت انهيار جليدي من الكتب.

"كم عدد الكتب التي لديك هنا؟" سألتُ، وأنا في نصف صدمة.

"أعتقد أن العدد يقارب ستة آلاف كتاب."

مكتبة
t.me/soramnqraa

"ستة آلاف!" صرختُ بدهشة.

"هذا المكان صغير، لذا هذا هو الحد الأقصى تقريبًا."

"ماذا يعني *التخصص في أدب العصر الحديث*؟"

"نحن نركز على المؤلفين اليابانيين المعاصرين. تعالي هنا، انظري."

بتوجيه من عمي، بدأت أتفحص عناوين الكتب المصطفة على الرفوف. كان هناك مؤلفون عرفت أسماءهم، مثل *ريوينوسكي أكوتاغاوا*، *ناتسومي سوسيكي*، و*أوغاي موري*، لكن معظم الأسماء الأخرى لم أسمع بها من قبل.

أما الأسماء التي كنت قد سمعت بها، فكانت فقط مما قرأته في دروسي في المدرسة الثانوية.

"إذًا، هل تجمع الكتب من كل هؤلاء المؤلفين؟" قلت.

ضحك عمي. "معظم المكتبات هنا متخصصة في مجال معين أو نوع محدد من الكتب. هناك متاجر مخصصة للكتب الأكاديمية. هناك متاجر تبيع فقط نصوص المسرحيات. وهناك بعض المتاجر الأخرى غير التقليدية التي تبيع أشياء مثل البطاقات البريدية القديمة والصور الفوتوغرافية. هذه المنطقة تضم أكبر تجمع لمكتبات الكتب المستعملة في العالم."

"في العالم؟"

"نعم. لأنه في حقبة ميجي، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت هذه المنطقة مركزًا ثقافيًا، وكان يفضلها المثقفون والكتّاب. والسبب في وجود هذا العدد الكبير من المكتبات هو أنه تم بناء الكثير من المدارس في هذه المنطقة في ذلك العصر، مما أدى إلى ظهور العديد من المتاجر التي تبيع الكتب الأكاديمية."

"هل يعود ذلك إلى هذا الزمن البعيد؟"

"أوه نعم، وهذا التاريخ مستمر دون انقطاع حتى يومنا هذا. كتّاب مثل *أوغاي موري* و*جونئيتشيرو تانيزاكي* كتبوا روايات تدور أحداثها هنا. والآن، يأتي الكثير من السياح من الخارج."

كان يتحدث عن الأمر بفخر شديد، وكأن كل هذا ينتمي إليه.

"لقد عشت في طوكيو طوال هذا الوقت، ولم تكن لديّ أدنى فكرة عن هذا المكان"، قلت بصراحة.

أعجبت حقًا برد عمي على سؤالي البسيط. بالنسبة لشخص كانت عائلتنا تراه مجرد رجل ينجرف بلا هدف، شخصًا لم يبحث يومًا عن وظيفة حقيقية، بدا أنه يعرف الكثير. ذكرني ذلك بأنه عندما كنت صغيرة وأذهب لرؤيته، كانت غرفته دائمًا مليئة بالكتب الصعبة عن التاريخ والفلسفة.

قال لي: "في المرة القادمة، عليكِ أن تتجولي قليلًا، تكتشفين المنطقة. هناك الكثير من الأماكن المثيرة للاهتمام. لكن لنؤجل ذلك إلى يوم آخر. دعيني أريكِ غرفتك أولًا. الطابق الثاني مليء بالكتب من بقية المجموعة، لكن الغرفة كبيرة."

عندما ألقينا نظرة إلى داخل الغرفة في الطابق الثاني، كدت أن أفقد وعيي على الفور. تلك "المجموعة" التي ذكرها لم تكن سوى أكوام شاهقة من الكتب تملأ الغرفة بأكملها. لم يكن هناك أي مساحة للسير داخلها. كان المشهد أشبه بلقطة من فيلم خيال علمي تدور أحداثه في مدينة من مستقبل ليس ببعيد. مكيف الهواء العتيق كان يعمل بأقصى طاقته، لكن مع ذلك بدأت قطرات العرق تظهر واحدة تلو الأخرى على بشرتي. في الخلفية، كان بإمكاني سماع النداء الحاد لحشرة *السيكادا* في مكان ما بعيد.

استدرت إلى عمي، الذي كان يقف بجانبي، ونظرت إليه بنظرة باردة. عن أي استعداد كان يتحدث عندما قال إنه يجهز المكان لي؟ لم يكن هناك حتى مساحة تكفي لفأر ليمدّ ساقيه في هذه الغرفة!

"تبًا، كنت أنوي تنظيم الأشياء هنا قبل وصولكِ، لكن..." قال وهو يفرك مؤخرة رأسه بأسف وقال: "كما ترين، لقد أجهدت ظهري قبل ثلاثة أيام. إنها لعنة بائع الكتب، أخشى ذلك. لكنني قمت بالفعل بنقل نصف الكتب إلى الغرفة الفارغة المجاورة. لذا، إذا ألقيتِ بقية الكتب هناك أيضًا، فستشعرين وكأنكِ في منزلكِ تمامًا."

في تلك اللحظة، سمعنا صوت الباب الزجاجي في الطابق السفلي يُفتح، فقال عمي: "آسف بشأن ذلك"، واندفع عائدًا إلى الطابق السفلي.

نظرت حول الغرفة وتنهدت. "ألقي بها هناك"، قال. سهل عليه أن يقول ذلك! شعرت وكأنني قد خُدعت. لكنني كنت قد ألغيت عقد إيجار شقتي بالفعل، ولم يكن لدي مكان آخر لأذهب إليه. هيأت نفسي للأسوأ وبدأت بتنظيف الغرفة.

قضيت اليوم بأكمله في معركة ضد تلك الكتب. كنت أجرّ أكوامًا ضخمة منها إلى الغرفة المجاورة، والعرق يتصبب مني. لكن لو كنت غير حذرة ولو قليلًا، فإن *أبراج بابل* الخاصة بي كانت ستنهار، كأن إلهًا غاضبًا أسقطها بضربة واحدة. شيئًا فشيئًا، بدأت كراهيتي الشديدة لهذه الكتب تزداد. ومع ذلك، بحلول المساء، تمكنت بطريقة ما من نقل الغالبية العظمى من الكتب إلى الغرفة الفارغة.

أخرجت الطاولة الصغيرة التي كانت مدفونة تحت الانهيار. في الغرفة المجاورة، كانت الكتب مكدسة حتى السقف. كنت قلقة بعض الشيء من أن الأرضية قد

تنهار تحت هذا الوزن، لكنها بدت قوية بما يكفي، فطمأنت نفسي بأن الأمور ستكون بخير. ثم أحضرت المكنسة الكهربائية وبدأت في امتصاص كل الغبار وقطع القمامة الصغيرة التي كانت تطفو فوق الأرض وكأنها أرواح شريرة.

بمجرد أن قمت بمسح الجدران وحصائر *التاتامي* بقطعة قماش لإزالة الغبار، بدأت الغرفة تبدو وكأنها مكان يمكن أن يسكنه إنسان بالفعل.

كنت واقفة عند مدخل الغرفة، واضعة يدي على خصري، أتفحص عملي بشيء من الرضا، عندما أغلق عمي المتجر وصعد لرؤيتي.

قال بدهشة: "واو، لقد نظفتِ المكان حقًا. مدهش." ثم أضاف مازحًا: "تاكاكو، أقسم لو كنتِ قد وُلدتِ في إنجلترا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، لكنتِ خادمة رائعة!" واستمر في قول المزيد من الأشياء السخيفة مثل هذه.

يا إلهي، فكرت، سأضطر إلى التعايش مع هذا الشخص.

قلت: "أنا متعبة وسأذهب للنوم."

فقال: "بالتأكيد، خذي راحتكِ، واحصلي على كل الراحة التي تحتاجينها. لكن صباح الغد يمكنكِ مساعدتي، صحيح؟"

بمجرد أن غادر عمي المتجر، ذهبت مباشرة إلى الحمام، ثم زحفت إلى فراشي ذي الرائحة العفنة دون حتى أن أجفف شعري.

عندما أطفأت الأنوار، غرقت الغرفة في صمت تام. كان الأمر أشبه بأن جميع تلك الكتب تمتص الصوت.

نظرت إلى السقف الخافت بضياع، وبدأت أشعر باليأس. هل يمكنني البقاء هنا لبعض الوقت؟ لا أرى نفسي أعتاد على هذا.

لكن هذا الشعور لم يستمر سوى لحظة. في الثانية التالية، كنت أشخر.

في حلمي، كنت خادمة آلية تعيش في مدينة في مستقبل ليس ببعيد. في ذلك الحي، كانت جميع المباني مصنوعة من كتب مستعملة.

عندما فتحت عيني في صباح اليوم التالي، لم يكن لدي أي فكرة عن مكان وجودي. نظرت إلى المنبه بجانبي. كانت الساعة تشير إلى **10:22**.

فجأة، عدت إلى الواقع. صرخت "آه" وقفزت من السرير. المتجر يفتح في العاشرة! قبل أن أنام، ضبطت المنبه على الثامنة، لكنه قد أُغلق في مرحلة ما. من على وجه الأرض لعب معي هذه الحيلة القاسية؟ الجاني، بالطبع، كان أنا.

يا لها من فوضى! لطالما كنت جيدة في الاستيقاظ في الوقت المحدد. كنت فخورة بحقيقة أنه خلال ثلاث سنوات من عملي في الشركة، لم أتأخر أبدًا. لكن ها أنا الآن، في ملابس النوم، بشعري غير المرتب تمامًا، أندفع نزولًا على الدرج، وأسرع لرفع المصراع المعدني الثقيل عند المدخل. بينما كنت أفعل ذلك، اندفع ضوء الصيف إلى الغرفة. كانت جميع المتاجر المقابلة للشارع قد فتحت بالفعل. كنت متأخرة بوضوح.

ماذا كان يمكنني أن أفعل؟ لمدة نصف ساعة تقريبًا، جلست فقط عند الطاولة، مرتدية ملابس النوم، مرتبكة وقلقة. لكن لدهشتي، لم يدخل أحد.

لاحقًا، بدا أن لا أحد سيأتي على الإطلاق. كان هناك بعض الأشخاص يسيرون في الشارع، لكنهم مروا دون أن يتوقفوا. شعرت أنني حمقاء، فصعدت إلى الطابق العلوي وغيرت ملابسي بهدوء.

ارتديت ملابسي، وسرّحت شعري، ووضعت قليلًا من مساحيق التجميل، ثم نزلت إلى الطابق السفلي مرة أخرى.

بحلول الظهيرة، بدأ بعض الأشخاص في الدخول، لكن معظمهم كانوا يشترون الكتب الرخيصة التي تباع بخمسين أو مئة ين فقط. وجدت نفسي قلقة بشأن ما إذا كان المتجر سيتمكن من الاستمرار. بعد أن كتمت حوالي ثلاثين تثاؤبًا، غفوت مرتين.

حوالي الساعة الواحدة، ظهر رجل في منتصف العمر. كان قصير القامة وممتلئًا، وبشكل مذهل أصلع تمامًا. بمجرد أن رآني جالسة خلف الطاولة، تفاجأ مرتين وقال:

"ماذا؟ أين ساتورو؟ الأهم من ذلك، من أنتِ؟ هل قاموا بتوظيف فتاة للعمل بدوام جزئي؟ لكن هذا المكان لا يستطيع توظيف أحد، أليس كذلك؟"

انهال عليّ بسؤال تلو الآخر. كيف يمكنني وصفه؟ كان من ذلك النوع من الرجال في منتصف العمر الذين لا يُخفون أي شيء في حديثهم.

"أم، عمي سيأتي حوالي الساعة الثانية. أنا ابنة أخته، تاكاكو. يمكنني القول إنني أعمل هنا جزئيًا. أعمل مقابل السكن والطعام. أما عن الوضع المالي للمتجر، فأخشى أنني لست على دراية بالتفاصيل."

بينما كنت أجيبه، راح يتفحصني بعناية بنظرة اهتمام عميقة.

قال مندهشًا: "يا للعجب! كيف لم أكن أعرف طوال هذا الوقت أن ساتورو لديه ابنة أخت لطيفة وصغيرة؟"

ابتسمت له بلطف. كنت محظوظة لأنه لم يرَ مظهري الفوضوي هذا الصباح. ربما كان في النهاية رجلًا عجوزًا لطيفًا. بدا كذلك على الأقل. والأهم من ذلك، أن لديه ذوقًا جيدًا.

قال: كنت أفكر في قراءة ناؤيا شيغا مرة أخرى. لقد مر وقت طويل. تعلمين، كيف أن زوجتي رمت معظم كتبي منذ فترة.

كان يتجول بين رفوف الكتب وهو يتحدث. كيف لي أن أعرف ما الذي حدث مع زوجته؟ لقد التقيت به للتو اليوم.

"أين هي مرة أخرى؟"

"أين ماذا؟"

"كتب ناؤيا شيغا."

"آه، حسنًا، أعتقد أنها ربما تكون هناك في مكان ما."

فجأة، رمقني الرجل بنظرة صارمة، وكأنه كان يحاول تقييم شخصيتي.

"هل أنتِ قارئة؟"

"قطعًا لا."

في اللحظة التي أجبت فيها، تحول رفيقي في منتصف العمر إلى شيطان. اشتعلت عيناه غضبًا وهو يحدق بي.

وهنا بدأ خطبته العصماء. يا إلهي.

"الشباب في هذه الأيام لم يعودوا يقرؤون الكتب إطلاقًا! كل ما يفعلونه هو اللعب على أجهزة الكمبيوتر. الأمر ميؤوس منه تمامًا. وحتى لو قرأوا شيئًا، فهي مجرد مانغا أو قصص تافهة على هواتفهم المحمولة. حتى ابني، الذي يقترب من الثلاثين، لا يزال يقضي يومه كله في ألعاب الفيديو. هل ترين أن هذا طبيعي؟ هل تعتقدين أن هذا مقبول؟ بالطبع لا! كل ما يفعلونه هو النظر إلى السطح. وإذا كنتِ لا تريدين أن تكوني إنسانة سطحية، فعليكِ أن تقرئي بعض الكتب العظيمة الموجودة هنا"!

ظل يتحدث بهذا الأسلوب دون توقف، وكأنه يلقي موعظة. وعندما غادر أخيرًا عائدًا إلى منزله، كانت ساعة كاملة قد انقضت.

وبطبيعة الحال، طال حديثه إلى درجة أنه لم يشترِ شيئًا في النهاية. كنت قد بدأت أشعر بالإرهاق أيضًا.

وعندما عاد عمي بعد نصف ساعة، بدا لي وكأنه البطل الذي جاء لإنقاذي.

"كيف كان يومك الأول؟ هل واجهت أي مشاكل؟" قال وهو يتفحص دفتر الحسابات اليومي.

"لا"، أجبت بتعب. "لكن بعد الظهر بقليل، دخل رجل. كان الأمر وكأن رأسه كان زهرة هندباء تطاير زغبها ولم يبقَ سوى الجوانب. لقد تحدث كثيرًا."

"آه، هذا سابو. لقد كان زبونًا منتظمًا هنا لمدة عشرين عامًا تقريبًا."

ضحكت رغمًا عني. بدا الاسم "سابو" ملائمًا تمامًا له.

"ذلك الرجل، ماذا يمكنني أن أقول؟ إنه يعشق كُتاب الأدب الياباني العظماء من أعماق قلبه. لكنه شخص يحب الكلام. أحيانًا أقع في فخه أيضًا. ولكن إذا قمت بإعداد كوب صغير من الشاي، وهززت رأسك قليلًا وقلت 'أوه' و'آه' بضع مرات، فسيغادر إلى منزله."

"آه"، فكرت، "هناك الكثير في عالم تقديم الخدمات. حتى فكرة الزبون المنتظم أصبحت أمرًا نادرًا هذه الأيام."

"بالمناسبة، عمي..." قلت، متذكرة أكبر سؤال دار في ذهني طوال اليوم.

"ما الأمر؟"

"هل المتجر بخير؟ لا يوجد الكثير من الزبائن. والأشخاص الذين يشترون الكتب لا يشترون سوى الكتب الرخيصة فقط..."

ضحك عمي، بدا سعيدًا بشكل واضح.

هذا صحيح. لم تعد الكتب المستعملة تُباع كما في السابق. عندما كان والدي شابًا، كانت متاجر الكتب المستعملة تحقق أرباحًا مذهلة. لكن الوضع الآن مختلف تمامًا.

في تلك الأيام، لم تكن صناعة النشر مشبعة كما هي الآن، ولم يكن هناك تلفاز. على كل حال، بدأنا البيع عبر الإنترنت منذ ست سنوات. وأحيانًا نبيع كتابًا نادرًا بسعر مرتفع. نحن ندبر أمورنا بطريقة ما.

كما أن لدينا عددًا جيدًا من الزبائن الدائمين، مثل سابو، الذين كانوا يزورون المتجر منذ أيام والدي.

بالمناسبة، تاكاكو، ألا تذهبين إلى متاجر الكتب المستعملة؟

"أذهب أحيانًا إلى 'بوك أوف'. أقرأ المانغا هناك."

"في الوقت الحاضر، المتاجر الكبيرة هي التي تسيطر على السوق. لكن في تلك الأماكن، من المستحيل أن تجدي كتابًا كتبه مؤلف منذ عقود. لا أحد يبحث عن هذا النوع من الكتب. ومع ذلك، لا يزال هناك كثير من الناس في هذا العالم يحبون الكتب القديمة. بل إن بعض الفتيات في مثل عمرك يعشقنها. بالنسبة لأشخاص كهؤلاء، هذا المكان أشبه بالجنة. وأنا أحد هؤلاء."

"أتذكر أن غرفتك كانت مليئة بالكتب. متى بدأت إدارة المتجر؟"

"مباشرة بعد وفاة والدي، لذا، منذ حوالي عشر سنوات؟ لكن بالمقارنة مع أصحاب المتاجر الآخرين، فأنا ما زلت مبتدئًا. معظمهم يديرون متاجرهم منذ ثلاثين أو أربعين سنة."

"واو، هذا مذهل... من الصعب تصديقه."

"تاكاكو، عليكِ أن تجربي قراءة بعضها. يمكنكِ قراءة أي كتاب تريدينه من هنا."

قال ذلك وهو يبتسم.

ضحكتُ فقط.

3

لم أنم أكثر من اللازم مرة أخرى بعد ذلك اليوم، وبطريقة ما تمكنت من معرفة ما عليّ فعله في المتجر. لحسن الحظ، كان العمل بطيئًا في الغالب حتى فترة ما بعد الظهر. كنت أجلس عند المنضدة في الخلف وأغيب في أحلامي. لم يتغير روتيني كثيرًا بمجرد أن استقرتُ هناك. كنت أفتح المتجر أول شيء في الصباح، وأعتني به حتى يصل عمي ويعفيني من واجبي. ثم كنت أتثاقل في الصعود إلى الطابق العلوي، وأدفن نفسي تحت أغطية الفراش، وأنام.

كانت غرفتي تحتوي فقط على الضروريات المطلقة. أنا متأكدة من أنها لم تكن لتبدو كحياة لأي شخص آخر، لكنها كانت تناسبني. بصراحة، في حالتي الذهنية، كنت مستعدة لترك كل شيء خلفي في هذا العالم.

كان عمي ساتورو يظهر بعد الظهر، مرتديًا ملابس فضفاضة ومترهلة لم يكن ليسمح بها في أي شركة عادية. عندما كان يأتي، كان أول شيء يفعله هو التحقق من دفتر الحسابات، ثم الطلبات عبر الإنترنت، قبل أن يبدأ في الحديث على الهاتف عن أمور تتعلق بالعمل.

كنت أسمعه يشتكي للشخص على الطرف الآخر من الهاتف، قائلًا: "لا، مستحيل" أو "هذا قاسٍ جدًا، أليس كذلك؟" أو "إذا لم ننجُ من هذا..." ربما كان

يشتكي من حالة العمل، ومع ذلك كان هناك شيء في نبرة صوته دائمًا ما يبدو سعيدًا.

ما لم أكن أتوقعه بشأن تجارة الكتب المستعملة هو مدى اتساع الشبكة. وفقًا لعمي، فإن شبكة بائعي الكتب وعلاقاتك الشخصية كانت جزءًا كبيرًا من ضمان قدرتك على جلب مخزون جديد والحفاظ على المتجر من نفاد الكتب. متجر متخصص مثل "مكتبة موريساكي" لم يكن بإمكانه الحفاظ على مخزونه فقط من خلال شراء الكتب التي يأتي بها العملاء للبيع. كانت المزادات الدورية التي تنظمها نقابة المكتبات ضرورية للحصول على المزيد من الكتب المستعملة.

قال وهو يبدو راضيًا عن نفسه: "حتى لو كنا نعتبرها تجارة مستقلة، فإن ما يهم في هذه الصناعة أكثر من أي شيء آخر هو العلاقات التي تربطك بالناس. أعتقد أن هذا صحيح بالنسبة للعالم بشكل عام أيضًا."

ومع ذلك، كان هناك فجوة كبيرة بين الرجل الذي يخبرني بهذا وبين الصورة التي كانت لدي في ذهني عن صاحب متجر كتب مستعملة، تلك الصورة التي استقيتها من جدي. كان جدي عنيدًا وغير مرن، رجلًا قليل الكلام. في تجمعات العائلة، كان يجلس في وسط المجموعة بوقار، محاطًا بجميع أقاربنا.

كنت أخافه سرًا عندما كنت طفلة، وكانت جدتي تضحك دائمًا وتقول: "إنه بائع كتب مستعملة قديم. هكذا هو فقط."

لكن بالمقارنة معه، كان عمي مرنًا ومترددًا مثل قنديل البحر. لم أقضِ وقتًا طويلًا معه من قبل، ولكن كلما قضيت معه وقتًا أطول، ازددت دهشة من مدى تردده.

حتى أنني راودتني فكرة جامحة بأن عمتي موموكو قد هربت لأنها سئمت منه. ومع ذلك، ظل الزبائن المعتادون يأتون، مستعدين للدردشة.

لم نتحدث كثيرًا خارج نطاق العمل، ولكن بعد مرور أسبوع تقريبًا، لم يستطع عمي التحمل أكثر من ذلك. قال لي مندهشًا: "تاكاكو، كل ما تفعلينه هو النوم. أنتِ وحش نوم."

أجبته ببرود: "لا بد أنني أمر بمرحلة نوم زائدة." كان عمي متلهفًا للتدخل في حياتي، لكنني رفضت أن أتركه يسحبني إلى ذلك.

"في الخامسة والعشرين من عمركِ؟"

"نعم، هذا صحيح. كما يقولون، 'الطفل النائم هو طفل ينمو.'"

"لكن لديكِ الكثير من الوقت. لماذا لا تحاولين الذهاب في نزهة؟ هناك العديد من الأماكن المثيرة للاهتمام. اسمعي، لقد كنت أزور هذا المكان منذ أن كنت طفلًا ولم أشعر بالملل منه أبدًا."

"أنا بخير. أفضل النوم."

كان بإمكاني أن أرى أن عمي لم يكن قد انتهى من الحديث، لكنني وضعت حدًا للمحادثة. بعد ذلك، بغض النظر عما قاله، لم أكن أنوي الرد. كنت صامتة مثل الحجر. وفي أعماقي، كنت مستاءة.

بالطبع، لا بد أن عمي قد سمع كل شيء من والدتي، لذا فقد كان يعرف إلى حد ما ما يجري في حياتي. ومع ذلك، كان يطرح الموضوع عرضًا دون أي اعتبار، وهذا جعلني غاضبة.

حتى زبوننا الدائم، سابو، بدا أنه يعرف كل شيء عن حياتي. جاء ذات يوم وقال: "أوه، أليس هذا وحش النوم، تاكاكو؟"

سألته مستنكرة: "من أخبرك بذلك؟" لكن بالطبع، لم يكن هناك سوى شخص واحد يمكن أن يكون قد أفشى الأمر: عمي، الشخص الذي كنت غاضبة منه حقًا.

"تنامين بانتظام خمس عشرة ساعة وما زلتِ تشعرين بالنعاس؟"

"أنا لا أنام خمس عشرة ساعة. بل أقرب إلى ثلاث عشرة ساعة."

عندما صححت له، هز سابو رأسه مندهشًا.

"عندما كنت في العشرينات، لم أكن أجد وقتًا للنوم بهذا القدر. كنت دائمًا أقرأ".

"عندما أقرر النوم، أنام."

"أنتِ عنيدة، تمامًا مثل عمكِ."

"هذا سخيف. كيف تقارنني بذلك الأحمق؟"

"لديك أيضًا حس الدعابة الغريب نفسه،" قال سابو وضحك.

"لستُ مثله. أرجوك لا تضعنا في نفس الخانة."

"لا، لا تقللي من شأنه،" قال سابو فجأة بجدية. "قد يكون ذلك الرجل أحمق، لكنه أيضًا منقذ هذا المتجر."

"منقذ؟" أجبت، واتسعت عيناي دهشة.

"هذا صحيح. اسأليه ذات يوم." قال سابو ذلك وهو يرمقني بنظرة ذات مغزى. ثم، ليتظاهر بالقليل من التباهي، قال: "أدييوس"، ولوّح بيده مودعًا، وغادر المتجر.

من يهتم؟ فكرت. لا يهمني إطلاقًا إن كان عمي يظن نفسه منقذًا أم لا. كل ما أريده هو العودة إلى الطابق العلوي، والانزلاق تحت الأغطية، والنوم.

ومع ذلك، حتى أنا كنت مذهولة من مدى شعوري بالنعاس. أخبرت سابو أنني أنام ثلاث عشرة ساعة يوميًا، ولكن في الأيام التي يكون فيها المتجر مغلقًا، أنام طوال اليوم. كنت أنام وأنام وأتمنى لو أستطيع النوم إلى الأبد. في أحلامي، لم يكن علي التفكير في تلك الأشياء المروعة. كانت أحلامي مثل أعذب أنواع العسل، وكنت مثل نحلة تحلق بحثًا عن المزيد.

وعلى النقيض من ذلك، لم يكن هناك شيء جيد في الساعات التي أكون فيها مستيقظة. رغم أنني كنت أكرهه، إلا أنني كنت أفكر باستمرار في هيديأكي. طريقته في الضحك، الطريقة التي كان يلمس بها شعري. كنت أحب كل شيء فيه: كونه أنانيًا بعض الشيء، شعوره بالنقص بسبب كونه لا يستطيع تمييز النغمات، وكيف كان يبكي بسهولة.

كنت أعلم أنني أتصرف بغباء، لكن عندما كنا معًا، كنت أشعر بسعادة حقيقية، وكانت تلك الذكريات محفورة في خلايا عقلي بعمق لدرجة أنني لم أستطع محوها.

أحيانًا كنت أتخيل أن الكلمات التي قالها لي آخر مرة كانت مجرد أكاذيب. وأنه كان فقط يمازحني. "كل شيء مزيف"، كان سيقول لي، "أنا فقط أعبث معكِ".

أراد أن يمازحني قليلًا. وبالطبع، لم يكن ذلك صحيحًا. لو كان كذلك، لما كنت هنا.

لذا، حتى أخرج الأمر من رأسي وأتوقف عن تذكر ما حدث، واصلت النوم، ربما من باب العناد، وربما لسبب آخر.

مرّ الوقت بسرعة كبيرة لدرجة أنني لم أتمكن من اللحاق به أبدًا.

4

"تاكاكو، هل ما زلتِ مستيقظة؟"

في إحدى ليالي نهاية الصيف، ناداني عمي من الجهة الأخرى للباب المنزلق. عندما نظرت إلى الساعة، رأيت أنها كانت الثامنة مساءً وقت إغلاق المكتبة.

"أنا نائمة"، قلت من تحت الغطاء.

"هيا، الأشخاص النائمون لا يمكنهم الرد هكذا."

"لكنني نائمة بالفعل. لأنني... ماذا كنت تناديني؟ وحش النوم، أليس كذلك؟"

سمعته يضحك من خلف الباب.

"هل أنتِ غاضبة؟" قال. "تحدثت مع سابو."

"أنا غاضبة. لقد قلت إنني أشبه بالوحش."

"حسنًا، كنت قلقًا عليك، لذلك تحدثت معه. إنه قلق عليك أيضًا. هيا، ألا ترغبين في الخروج؟ هناك مكان أريد أن آخذك إليه. ما رأيك؟"

"أنا بخير" أجبت وأنا أحدق في الباب المنزلق.

لكن عمي أصرّ. "ثقي بي، لن تندمي. ثم أعدك أنني لن أتدخل في نومك بعد الآن."

"حقًا؟" سألت بحذر.

"أعدك. إذا كنت أكذب، يمكنكِ ضربي مئة مرة."

"هذا وعد." عندما رمقته بنظرة غاضبة عبر الفجوة الصغيرة في الباب المنزلق، رأيته يبتسم ويهز رأسه.

"أعدك."

كان المكان الذي أراد أخذي إليه على بعد خطوات من مكتبة موريساكي.

"ها قد وصلنا!" قال وهو يتوقف أمام واجهة متجر في زقاق جانبي. كانت مقهى خشبي قديم لم أعتقد أنني لاحظته من قبل. بدا رجل في منتصف العمر، أنيق للغاية، بشارب، وكأنه الشخص المسؤول عن المكان.

كان اسم المقهى، "سافور"، مضاءً بواسطة لافتة تبدو وكأنها تطفو في الضباب الداكن.

"هذا مكاني المفضل" قال.

وما إن فتح الباب الثقيل حتى شممنا عبير القهوة الغني يملأ المكان.

رحب بنا الرجل الذي كان يصب الماء المغلي في جهاز سيفون خاص موضوع على المنضدة عند دخولنا.

"مرحبًا، هذه ابنة أختي، تاكاكو."

جلست بجانب عمي عند المنضدة الصغيرة وانحنيت بسرعة.

حتى بدون الشارب، كان وجه صاحب المكان النحيف والراقي يبدو مهيبًا. كان على الأرجح في أواخر الأربعينات من عمره. كنت أتمنى لو أن عمي، الذي بدا كطفل مهما بلغ من العمر، يتبع مثاله.

"مزيج خاص لي. ماذا عنكِ، تاكاكو؟"

"أممم، وأنا أيضاً."

استدرت ونظرت حولي داخل المقهى. كان المكان يعمّه الهدوء. أُضيء الداخل بفوانيس ناعمة، وكانت موسيقى البيانو الهادئة تعزف في الخلفية. كان الجدار الطوبي الأسود مغطى بالخربشات والرسومات التي تركها الزبائن السابقون. كل شيء بدا متناسقًا بشكل جميل ومتناغم مع الأجواء الدافئة والمهدئة للمقهى. *يا له من مكان جميل*، فكرت. لأول مرة منذ فترة طويلة، شعرت بالفرح يتدفق بداخلي. وشعرت أنني بحال أفضل، بقليل من الراحة.

قال عمي موضحًا: "هذا المكان موجود منذ خمسين عامًا. في الأيام الخوالي، اعتاد الكثير من المشاهير على المجيء إلى هنا."

أجبت وأنا أومئ برأسي بعمق: "واو لا بد أن خلق أجواء مثل هذه لم يكن أمرًا سهلاً إنه مريح للغاية."

بعد حوالي خمس دقائق، جاءت النادلة بالقهوة.

"مساء الخير، سيد موريساكي."

"مرحبًا، تومو، هذه ابنة أختي، تاكاكو."

قلت وأنا أنحني: "تشرفت بلقائك."

ابتسمت تومو وقالت مرحبًا.

قال عمي: "تومو واحدة من زبائننا الدائمين. إنها قارئة حقيقية".

أجابت وهي تبتسم بخجل: "أوه، لست مميزة إلى هذا الحد".

كانت في مثل عمري، أو ربما أصغر بقليل. كانت بشرتها فاتحة ووجنتاها ممتلئتين ومستديرتين. كان هناك شيء رقيق في طريقتها بالكلام.

بدت لطيفة في مئزرها الأسود. شعرت أنني قد أجد معها انسجامًا. تحسن مزاجي.

قال عمي مشاكسًا: "ما الأمر، تاكاكو؟ هل تفضلين الفتيات؟ هناك شبان هنا أيضًا." ولوّح بيده نحو الطرف الآخر من الطاولة. "هيه، تاكانو"!

أطل شاب طويل ونحيف برأسه من خلال فتحة في الستارة القادمة من المطبخ.

"تاكانو! لماذا لا تأخذ ابنة أختي في موعد غرامي يومًا ما؟"

صرخت بغضب وضربت يد عمي: "هيه"!

بدا تاكانو خجولًا جدًا، وكل ما احتاجه الأمر هو ذلك ليصبح وجهه أحمر قانيًا بالكامل.

قال عمي بمرح: "تاكانو يتدرب هنا حتى يتمكن من افتتاح مقهاه الخاص يومًا ما. لكنه يفسد الأمور دائمًا، لذا يظل المالك يوبخه باستمرار." بدا عمي سعيدًا حقًا وهو يتحدث عن جزء التوبيخ.

تدخل المالك قائلًا: "لنبدأ بإيقاف تشويه سمعته."

شعرت بالأسف تجاه تاكانو، لكنه بدا غير مستقر تمامًا على قدميه، وكأنه يمكن إسقاطه بدفعة صغيرة. في النهاية، أثبت دون قصد صحة ما قاله عمي.

ظل عمي في مزاج جيد بعد ذلك. نادته امرأة في منتصف العمر كانت تجلس بالقرب منا قائلة: "مرحبًا، ساتورو!"

رد بابتسامة قائلاً: "أوه، السيدة شيباموتو!" وذهب إليها بسعادة، وكأنه كلب يهز ذيله. ثم ناداه شخص آخر عند طاولة أخرى، فانتقل إليهم سريعًا.

في المكتبة، كان عمي يحافظ على الأمور تحت السيطرة، ولكن بمجرد أن يخطو خطوة خارجها، يصبح شخصًا مختلفًا تمامًا. تنهدت، وشعرت وكأنني مالكة كلب يتم جرها من قبل حيوانها الأليف.

ضحك صاحب المقهى بمكر قائلاً: "ساتورو شخص مشهور هنا." عندما ابتسم، جعلته التجاعيد حول عينيه يبدو لطيفًا.

قلت بسخرية: "إنه ودود جدًا، إن لم يكن هناك شيء آخر." ثم أضفت: "لكن هذه بالفعل هي المرة الأولى التي أشرب فيها قهوة بهذه الجودة. وأنا أحب أجواء هذا المكان. إنه رائع."

ضحك صاحب المقهى بلطف قائلاً: "شكرًا لك. عندما يأتي الشباب إلى هنا لأول مرة، يرون المكان بعيون جديدة. هذا يعني لي الكثير. تاكاكو، أليس كذلك؟ هل أنت جديدة في المنطقة؟"

أجبت: "هذه زيارتي الأولى. لقد بدأت العيش في متجر عمي."

قال بدهشة: "في مكتبة موريساكي؟ هذا مكان رائع. آمل حقًا أن تستمتعي بالحياة في جيمبوتشو."

قطبت وجهي وأصدرت تأوهًا طفيفًا.

"ما الأمر؟" سألني.

"عمي يقول الشيء نفسه."

ضحك قائلاً: "هذا منطقي. لا أحد يحب هذا الحي أكثر من عمك."

تأوهت مجددًا وقلت: "لست متأكدة من أنني أفهم ذلك. لكنني لم أكن أكذب عندما قلت إن مقهاك رائع. بالتأكيد أود العودة مجددًا."

قال مبتسمًا لي ابتسامة واسعة: "في أي وقت."

بقينا في المقهى لفترة طويلة، وعندما غادرناه كان الوقت قد تأخر في المساء. تجولنا، عمي وأنا، في أنحاء الحي بلا هدف. كانت نسائم الليل الباردة تلامس وجهي، وكان الطقس بالفعل يشبه الخريف.

بدا عمي ثملاً من زجاجة البيرة الوحيدة التي طلبها. كان يمشي أمامي متمايلًا قليلًا ويتمتم عن روعة هذه الليلة.

عندها أدركت أنها المرة الأولى التي نسير فيها معًا هكذا منذ طفولتي. في ذلك الوقت، كنا نسير طوال اليوم بالقرب من منزل جدي، يدًا بيد، متظاهرين بأننا نستكشف المكان. لماذا كان ذلك ممتعًا جدًا؟ كنت دائمًا أضحك بحماس.

في تلك الأيام، كان عمي يبدو لي أشبه بأخ أكبر لطيف. أعتقد أن هذا طبيعي بالنسبة لطفل وحيد، خاصةً مثلي، المنغمسة دائمًا في أفكارها الخاصة، أن تشعر بسعادة غامرة لقضاء الوقت مع شخص مثله.

بينما كانت أفكاري تسبح في ذكريات ذلك الزمن، عادت إليَّ مشاهد حية... كنا معًا في غرفته الصغيرة الفوضوية، يعزف أغاني البيتلز بطريقة سيئة على الغيتار، ونغني معًا... أو نقضي ساعات في قراءة أعمال أوسامو تيزوكا وشوتارو إيشنوموري، غارقين تمامًا في عالم المانغا.

هذه الذكريات جعلتني أبدأ في استعادة جزء بسيط من تلك الألفة التي كنت أشعر بها تجاه عمي، بينما كان يمشي أمامي.

"عمي ساتورو؟" كان ظهره لي عندما ناديته.

"نعم؟" استدار عمي وحدق في وجهي بعينيه الطفوليتين.

"ماذا كنت تفعل عندما كنت في مثل عمري؟"

"أعتقد أنني كنت أقرأ طوال الوقت."

"هل هذا كل شيء؟" شعرت ببعض الإحباط.

"هذا لا يبدو مختلفًا كثيرًا عما تفعله الآن."

"ذلك بالإضافة إلى السفر."

"السفر؟"

"نعم، كنت أعمل قليلًا هنا في اليابان، أوفر بعض المال، شيء من هذا القبيل. ثم كنت أحمل حقيبتي على ظهري وأسافر. ذهبت إلى أماكن كثيرة—تايلاند، لاوس، فيتنام، الهند، نيبال. حتى أنني سافرت عبر أوروبا."

فكرة أن عمي كان مغامرًا بهذا الشكل أدهشتني.

"ما الذي دفعك لفعل ذلك؟ ألم تفكر في الحصول على وظيفة مستقرة؟"

"هممم..." عقد ذراعيه وتحدث ببطء، كما لو كان يسترجع تلك الفترة من حياته. "بإيجاز، أردت أن أرى العالم بأسره بنفسي. أردت أن أرى نطاق الاحتمالات الواسع. حياتك ملك لك. إنها لا تنتمي لأحد سواك. أردت أن أعرف ما الذي يعنيه أن أعيش حياتي بشروطي الخاصة."

وجدت نفسي أهز رأسي موافقة، لكن بدا لي الأمر متناقضًا بعض الشيء أن يهرب من اليابان للبحث عن إمكانيات الحياة الخاصة بك، فقط لتنتهي بإدارة متجر الكتب.

مع ذلك، أثناء استماعي له وهو يتحدث، أدركت مدى اختلافه عن الصورة التي كنت أحتفظ بها عنه منذ الطفولة. الآن بعد أن أصبحت بالغة، أعتقد أنني أستطيع أن أفهم قليلًا ما كان يشعر به حينها. في الكلية، كنت أحلم بأن أعيش حياة تتماشى مع قيمي الخاصة، مع إحساسي الخاص بالأشياء. بالطبع، عندما حان

وقت التصرف بناءً على ذلك في العالم الحقيقي، اكتشفت أنني لم أكن أملك الشجاعة الكافية.

ربما كان هذا هو السر وراء قدرته على أن يكون طليقًا ومتحررًا بهذا الشكل.

شعرت ببعض الغيرة منه.

"حسنًا، أعتقد أنني قضيت العشرينات من عمري وأنا أتنقل هائمًا بهذا الشكل. كان والدي دائمًا غاضبًا مني. ثم في أحد الأيام، وسط كل هذا، سقط ميتًا. وانتهى بي الأمر بتولي إدارة المتجر بدلاً منه".

"هل ندمت على ذلك؟"

"على الإطلاق"، قال وهو يبتسم. "لا توجد وظيفة تناسبني أكثر من هذه. بالنسبة لشخص يحب الكتب، لا يوجد مكان أجمل من هنا. أنا فخور بامتلاك متجر هنا. لا أستطيع أن أشكر والدي وجدي بما فيه الكفاية حقًا".

"هذا رائع."

"ما هو الرائع؟" سألني عمي بنظرة مشوشة.

"أنك تفعل ما تريد، وتكسب عيشك من خلاله."

"هذا ليس صحيحًا تمامًا. لقد قاومت الأمر كثيرًا في البداية. أعني أن تولي المتجر عن والدي لم يكن بالضبط ما حلمت بفعله عندما كنت صغيرًا. حتى الآن، لا أزال مترددًا بين القبول والرفض طوال الوقت.

لكن، لا أعرف، ربما يستغرق الأمر وقتًا طويلاً لاكتشاف ما تبحث عنه حقًا. ربما تقضي حياتك كلها فقط لفهم جزء صغير منه."

"لا أعرف. أعتقد أنني ربما كنت أضيع وقتي، دون أن أفعل شيئًا."

"لا أعتقد ذلك. من المهم أحيانًا أن تتوقف قليلاً. فكر في الأمر على أنه استراحة صغيرة في الرحلة الطويلة لحياتك. هذا هو ميناؤك. وقاربك فقط يرسي هنا لفترة قصيرة. وبعد أن تأخذ قسطًا كافيًا من الراحة، يمكنك الإبحار من جديد."

"أنت تقول ذلك الآن، لكنك تشتكي عندما أكون نائمة"، قلت بحدة.

ضحك قائلًا: "البشر مليئون بالتناقضات."

كنت أتذمر دون أن أدرك ذلك. خاصة هذا الرجل، فكرت.

"إذًا، عندما كنت تسافر وتقرأ كل تلك الكتب، لا بد أنك تعلمت الكثير، صحيح؟"

"إنه لأمر غريب. بغض النظر عن المكان الذي تذهب إليه، أو عدد الكتب التي تقرؤها، لا تزال لا تعرف شيئًا، لم ترَ شيئًا. هذه هي الحياة. نحن نعيش حياتنا محاولين العثور على طريقنا."

يشبه الأمر تلك القصيدة لسانتوكا تانيدا، التي تقول: "يتواصل بلا نهاية، دخولًا وخروجًا، ولا تزال الجبال زرقاء وخضراء."

"عمي؟" فكرت أن هذه قد تكون فرصتي لطرح السؤال الذي كنت أرغب في سؤاله منذ وقت طويل.

"نعم؟"

"لماذا رحلت العمة موموكو؟"

"هممم... أنا وهي نرى الأمور بنفس الطريقة. هذا ما جمعنا معًا، وأعتقد أنه أيضًا السبب الذي فرقنا. التقينا في منتصف الرحلة ووقعنا في الحب. لكن هذا لا يعني أننا سنظل نسافر معًا دائمًا. في مرحلة ما، يجب على كل شخص أن يجد ملاذه الآمن. كنت أعتقد دائمًا أننا سنصل إلى النهاية معًا. لكن للأسف، لم تسر الأمور بهذه الطريقة."

"كيف كان الأمر... عندما حدث ذلك؟ هل كنت حزينًا؟"

نظر إلى السحب الكثيفة التي تغطي السماء. بالطبع، كان الأمر محزنًا، ولكن...

"ولكن؟"

"ولكن، بغض النظر عن مكانها الآن وما تفعله، أريد لها أن تكون سعيدة".

"لكن..." لم أستطع فهم كيف يمكنه أن يشعر بذلك. "ألم تتخلَّ عنك وترحل؟"

"لكن موموكو لا تزال المرأة الوحيدة في حياتي التي أحببتها بصدق. هذه حقيقة لن تتغير أبدًا. والذكريات التي أملكها عن وقتنا معًا..."

ما زالت كل تلك الذكريات حية في قلبي. لذا، من هذا المنطلق، لا زلت أحبها."

كنت أرغب في سؤاله عن السبب، لكن كان هناك شيء حزين في مظهره من الخلف، بدا صغيرًا تحت ضوء المصباح في الشارع، مما جعلني أقرر عدم قول أي شيء آخر.

تلك الليلة، ولسبب ما، لم أستطع النوم. شعرت باضطراب غريب. حتى في منتصف الليل، كنت ما زلت أتقلب وأدور في سريري، أعاني. كانت كل هذه الأفكار تتلاطم داخل رأسي، تملؤه حتى شعرت أنه قد ينفجر. استمرت تدور وتدور، هذه الذكريات المؤلمة من الماضي، من حياتي القديمة. سيطرت على ذهني بالكامل.

"هذا أمر فظيع"، فكرت. جلست فجأة. "إذا لم أفعل شيئًا" قلت لنفسي، "سأختنق هنا." فكرت أن أشاهد التلفاز، لكني تذكرت أن ذلك يعني إعادة ترتيب أكوام الكتب أولًا. كانت الساعة الثالثة صباحًا. لم يكن هناك شيء مفتوح في الخارج بغض النظر عن المكان الذي قد أذهب إليه.

وأنا أحدق في الظلام، تمنيت لو كان لدي كتاب لأقرأه... كان على الأقل سيمنحني وسيلة لتمضية الوقت.

عندها أدركت الأمر. أليس هذا متجر كتب؟ كنت غارقة فعليًا وسط الكتب. لقد نسيت تمامًا هدفها الأصلي، لأنني حتى تلك اللحظة لم أكن أراها سوى كوجود عدائي في الغرفة.

أضأت المصباح وبدأت أبحث بين الكتب عن كتاب مثير للاهتمام. لكن لم يكن لدي أي فكرة عن كيفية الحكم على أي منها قد يكون ممتعًا. كلها بدت مجرد كتب قديمة متربة. كنت متأكدة، مع ذلك، من أن عمي كان بإمكانه اختيار بعض الكتب التي يحبها بسهولة.

شعرت بالحيرة، فوقفت أمام كومة ضخمة من الكتب وأغلقت عيني. ثم مددت يدي وسحبت أول كتاب لمسته.

كان عنوانه حتى *موت الفتاة*. كان المؤلف هو سايسي مورو. كنت قد سمعت اسمه من قبل في صف الأدب الحديث في المدرسة الثانوية، لكن هذا كل ما كنت أعرفه عنه.

في تلك الغرفة الخافتة، مع ضوء خافت من مصباح صغير بجانب وسادتي، غطيت نفسي بالبطانية وبدأت بالقراءة. كنت آمل أن يكون الكتاب مملًا بدرجة كافية تجعلني أنام على الفور. لكن حدث شيء مضحك. بعد ساعة، كنت غارقة تمامًا في قراءته. بالتأكيد، كانت هناك بعض المقاطع التي كان أسلوبها صعبًا، لكن موضوع الكتاب كان عن علم النفس البشري، وهو موضوع عالمي.

تتمحور القصة حول رجل يحاول بدء حياته من جديد في نيزو. بعد قضاء طفولته في كانازاوا، ينتقل إلى طوكيو لمتابعة حلمه بأن يصبح شاعرًا. هناك، يتورط في علاقة مع امرأة هي في الوقت نفسه عشيقة صديقه ونصف شقيقته. يعاني من الفقر ولا يجد وسيلة لكسب عيشه في طوكيو، إلى أن يلتقي بالفتاة المذكورة في العنوان عن طريق الصدفة. ومن خلال لقائه بها، علاقته بها بدأت تشفي قلبه الجريح، ولو لفترة وجيزة.

كبرت الشخصية الرئيسية في ظروف صعبة ونجت من شباب كئيب، لكن بطريقة ما، امتلأت القصة كلها بهذه الرقة الهادئة.

شيئًا فشيئًا، شعرت بشيء يغمرني، إحساس بالسلام لا تستطيع الكلمات وصفه. إذا كان عليَّ تفسيره، سأقول إنه لا يمكن أن يكون قد أتى إلا من حب الكاتب العميق للحياة.

عندما رفعت رأسي، أدركت أن الليل كان يتلاشى، وأن النهار بدأ يشرق. واصلت القراءة، أقلب الصفحة تلو الأخرى.

في ذلك اليوم، عندما جاء عمي ساتورو، كنت لا أزال أشعر بالحماس.

عادةً ما كنت أحييه بالكاد، لكن عندما قفزت على قدمي، نظر إليَّ بدهشة.

كان حتى *موت الفتاة* في يدي. قلت له: "هذا الكتاب كان رائعًا."

كيف كانت ردة فعله؟ فجأة، أضاء وجه عمي - تمامًا مثل طفل حصل على هدية عيد ميلاد رائعة.

قال لي بحماس: "حقًا؟ لقد أعجبكِ؟" بدا وكأن الأمر حدث له شخصيًا.

"نعم، كان مذهلًا"، قلت. "لا أعرف كيف أصفه. لقد لمسني بعمق." شعرت بالإحباط لأنني لم أستطع إيجاد كلمة أفضل. "لقد لمسني بعمق" كانت أفضل ما لدي.

لم أستطع حتى أن أصف التعقيد الذي كان يحدث بداخلي.

"مستحيل! يعني لي الكثير أن أسمعك تقولين ذلك. أنا في غاية السعادة. لكن القفز مباشرة إلى مورُو سايسي، يشبه القفز إلى أعماق البحر."

كان عمي سعيدًا بشكل عميق لدرجة أن ذلك جعلني سعيدة أيضًا بطريقة ما.

تحدثنا عن الكتاب لفترة. كان من المبهج أن أشعر بارتباط مع شخص كنت أعتقد أن لا شيء مشترك بيني وبينه. كان ذلك مثيرًا حتى لو كان مجرد شخص مثل عمي—لا، بل كان أكثر إثارة لأنه كان شخصًا مثله.

كان الأمر وكأنني، دون أن أدرك، قد فتحت بابًا لم أكن أعلم حتى بوجوده .هذا بالضبط ما شعرت به.

منذ تلك اللحظة، بدأت أقرأ بلا توقف، كتابًا تلو الآخر. كان الأمر كما لو أن حب القراءة كان نائمًا في أعماقي طوال هذا الوقت، ثم فجأة استيقظ للحياة.

كنت أقرأ ببطء، أستمتع بكل كتاب على حدة. كان لدي كل الوقت في العالم حينها. ولم يكن هناك أي خطر من نفاد الكتب، بغض النظر عن مقدار ما قرأته.

كافو ناغاي، جونئيتشيرو تانيزاكي، أوسامو دازاي، هارو ساتو، ريونوسوكي أكوتاغاوا، كوجي أونو... قرأت بشراهة، قرأت للكتّاب الذين كنت أعرف أسماءهم ولكن لم أقرأ لهم، وللذين لم أسمع عنهم قط، وأي كتاب بدا مثيرًا للانتباه.

ومع ذلك، رغم كل ما قرأته، كنت أجد كتابًا تلو الآخر ما زلت أرغب في قراءته.

لم أختبر شيئًا كهذا من قبل. جعلني أشعر أنني كنت أضيع حياتي حتى هذه اللحظة.

قررت أن أتوقف عن النوم طوال الوقت. لم يعد يبدو ضروريًا. بدلًا من اللجوء إلى النوم بعد أن يتولى عمي العمل في المكتبة عني، كنت أذهب إلى غرفتي أو إلى مقهى لأقرأ.

كانت هذه الكتب القديمة تحمل تاريخًا أكبر مما كنت أتخيل. لم يكن ذلك مقتصرًا على محتوى الكتاب نفسه. في كل مجلد، كنت أكتشف آثار السنوات التي مضت.

على سبيل المثال، في إحدى صفحات كتاب مناظر القلب لموتوجيرو كاجي، صادفت هذا المقطع:

"فعل الرؤية ليس أمرًا بسيطًا. أن ترى شيئًا يعني أن تمتلكه. أحيانًا، يأخذ جزءًا منك، وأحيانًا يأخذ روحك بأكملها."

في وقت ما في الماضي، شعر شخص ما أثناء قراءة هذا الكتاب برغبة في أخذ قلم ووضع خط تحت هذه الكلمات. جعلني ذلك سعيدة، لأنني شعرت أنني تأثرت بنفس المقطع، وبهذا أصبحت متصلًا بذلك الشخص الغريب.

في مرة أخرى، صادفت زهرة مجففة كان أحدهم قد تركها كإشارة كتاب. عندما استنشقت رائحتها الباهتة التي اختفت منذ زمن بعيد، تساءلت عن الشخص الذي وضعها هناك. من يكون يا ترى؟

أين كانت؟ متى عاشت؟ ماذا كانت تشعر؟

لا يمكن تذوق مثل هذه اللقاءات، هذه الروابط التي تتجاوز الزمن، إلا في الكتب المستعملة. وهكذا تعلمت أن أحب متجر الكتب المستعملة الذي كان يتعامل مع هذه الكتب، *مكتبة موريساكي* الخاصة بنا. أدركت مدى قيمة الفرصة التي مُنحت لي، أن أكون جزءًا من هذا المكان الصغير، حيث يمكنك أن تشعر بتدفق الزمن الهادئ.

ونتيجة لذلك، أصبحت على دراية جيدة بالكتّاب الذين كنا نحمل كتبهم. قبل أن أدرك ذلك، كنت قد أصبحت قريبة من زبائننا الدائمين أيضًا. عندما لاحظ *سابو* أن هناك شيئًا مختلفًا عني، قام بتعديل انطباعه السابق عني. قال: "هاي، *تاكاكو*، لقد بدأتِ في الانغماس بالأمر، أليس كذلك؟"

كان هناك تغيير آخر أيضًا: بدأت في التنزه في أنحاء الحي. حدث ذلك تمامًا عندما أصبح الطقس باردًا بشكل مناسب، الموسم المثالي للتجول.

يومًا بعد يوم، تحولت أوراق الأشجار على طول الشوارع إلى لونها الذهبي. أسعدني أن أرى كيف أن تغير الألوان يتناغم مع التحول البطيء الذي كان يحدث داخلي.

وأثناء تجولي، رأيت الحي بطريقة مختلفة تمامًا عن أول مرة وصلت فيها إلى جينبوتشو. الآن، كان المكان بأكمله يبدو وكأنه مسرح لمغامرة. كان الأمر مشوقًا. على أي حال، كان هناك العديد من الأماكن التي أردت التوقف عندها واستكشافها على طول الشوارع والطرقات الخلفية. كان لهذا الجزء الصغير من المدينة إحساس قوي بمركز المدينة، مما جعلني أشعر بروح المغامرة أكثر.

متاجر الكتب المستعملة، المقاهي، والحانات الأجنبية كانت تملأ المكان. ورغم كل ذلك، لم يكن هناك أي شيء في أجوائه يوحي بفوضى لا تحتمل. كان الحي بأكمله يتمتع بهدوء مميز.

عندها أدركت أخيرًا أنه حتى وإن كنا نسميها جميعًا "متاجر كتب"، فإن لكل متجر طابعه الخاص والمميز.

تنقسم هذه المتاجر وفقًا لتخصصاتها المختلفة: بعضها يبيع الروايات فقط، والبعض الآخر يختص بالأدب الأجنبي أو الروايات التاريخية. حتى أن هناك متاجر تبيع مجلات الأفلام فقط، أو كتب الأطفال، أو نصوصًا تعود لعصر إيدو، مجلدة بأسلوب تقليدي. وكان هناك جميع أنواع أصحاب المتاجر أيضًا. بعضهم رجال مسنون عنيدون مثل عمي، لكن كان هناك أيضًا شباب أكثر لطفًا في

تعاملهم. توقفت عند مركز الترحيب ذات يوم، وأخبروني أن هناك أكثر من 170 متجرًا للكتب في المنطقة. وكما قال عمي، كان هذا حقًا أعظم حي في العالم لمحبي الكتب.

وعندما كنت أشعر بالتعب من المشي، كنت أتوقف في أحد المقاهي لأستريح. كانت القهوة الدافئة مثالية لهذا الطقس البارد. كنت أرتشف كوبًا منها في نهاية جولتي، وأشعر بالاسترخاء حتى أعماقي.

قضيت أيامي بهذه الطريقة، يومًا بعد يوم، بينما كنا نغوص أكثر في فصل الخريف. لا شك لدي أن روتيني الجديد ساعد في تحسين مزاجي. كانت هناك أشياء لا تزال عالقة في داخلي، لكنها بدت وكأنها تتحرر أكثر كلما مشيت.

ربما، نتيجة لذلك، كان ذلك هو الوقت الذي بدأت فيه بالتعرف على المزيد من الأشخاص في الحي. أصبحت زبونة دائمة في مقهى *سافور* وبدأت أقترب كثيرًا من صاحبه والعاملين فيه، وخاصة تومو، النادلة.

كانت تومو طالبة دراسات عليا في سنتها الأولى، متخصصة في الأدب الياباني، وكانت تعمل في *سافور* خلال وقت فراغها. وأحيانًا كانت تزور مكتبة *موريساكي* كزبونة. كانت تصغرني بعامين، بدت هادئة ومتحفظة، لكنها كانت تحمل في داخلها شغفًا قويًا. وكما هو متوقع من طالبة دراسات عليا في الأدب، كانت تمتلك حبًا لا يُضاهى للكتاب والكتّاب. تلك المعرفة الواسعة كانت من الأمور التي أعجبتني فيها.

في ذلك الوقت، بدأت تومو بالمرور إلى المتجر في طريق عودتها من العمل، حتى عندما لم تكن تنوي شراء شيء، وكنا نصعد إلى غرفتي في الطابق الثاني لنحتسي الشاي معًا، محاطتين بالكتب.

عندما دخلت غرفتي لأول مرة، أضاء وجهها حماسًا وقالت: "هذا المكان مذهل. إنه أشبه بالحلم."

"حقًا؟ إنه صغير جدًا ولا يوجد حتى موقد للغاز." بما أنني كنت أعيش هناك بالفعل، قدمت لها رأيي الصريح. على الأقل من ناحية الراحة، لم يكن المكان يمتلك أي شيء يُوصى به.

"هل هذه الأشياء مهمة حقًا؟" قالت تومو وهي تنظر إلي وكأنني الشخص الذي لا يفهم.

"ليس هناك شيء زائد هنا. يمكنك مد يدك، والكتب ستكون أمامك مباشرة. أليس هذا رائعًا؟"

"أعتقد ذلك."

"هذا صحيح." قالت وهي تقترب بوجهها من وجهي، وعيناها تتلألآن.

نظرتُ حول الغرفة مرة أخرى. كان الأمر غريبًا—فحماسها بشأن غرفتي حوّل المكان من كونه مملاً إلى شيء رائع.

اقترحت أن نجعل الغرفة أكثر جمالًا بشراء بعض الزهور من محل الزهور القريب. قمنا بترتيب زهور الكوزموس في مزهرية ووضعناها على الطاولة

المنخفضة. شعرت الغرفة بإشراق أكثر بعدها. ومنذ ذلك الحين، كنت دائمًا أزين ذلك الركن بتشكيلة من الزهور الموسمية.

في أحد الأيام، بينما كنا نصبح أكثر قربًا، كنا نشرب الشاي معًا، وفجأة قررت أن أسألها شيئًا.

"تومو، كيف أصبحتِ مهتمة جدًا بالكتب؟"

أجابتني بصوتها اللطيف نفسه، "سؤال جيد. عندما كنت في المرحلة الإعدادية، كنت خجولة بشكل مؤلم. كنت أخشى أن أخبر الناس بما أفكر فيه. ولهذا السبب، كانت هناك مشاعر فظيعة تعصف بداخلي. كنت أحمل هذا العار الرهيب معي. في ذلك الوقت، قرأت نسخة من *رواية التلميذة* لأوسامو دازاي. هكذا بدأ الأمر بالنسبة لي. الآن، يمكنني القول إنني مدمنة على القراءة تمامًا."

"أعتقد أن كل قارئ جاد يصادف في مرحلة ما من حياته كتابًا مثل ذلك. ولا ينسى أبدًا تلك التجربة"، قلت بإعجاب.

"لنأمل أن نصادف بعض الكتب الرائعة في المستقبل"، قالت تومو بابتسامة.

"آمل ذلك"، قلت موافقة بكل قلبي.

بعد ذلك، حدث شيء آخر يتعلق بتومو.

في إحدى الظهيرات عندما كنت أدير المتجر بمفردي، جاء تاكانو، الذي كان يعمل في "سافور" لم تتح لي العديد من الفرص للتحدث معه لأنه كان يعمل في المطبخ، لكن كان من الصعب ألا ألاحظ هيئته النحيلة داخل المتجر.

لاحظته على الفور وحييته.

انحنى تاكانو ورد التحية، لكنه بدا مضطربًا وهو يتجول في المتجر ناظرًا حوله.

يا له من شخص غريب، فكرت. "هل تبحث عن شيء معين اليوم؟" سألته.

"لا، أنا، أم... لا... ليس..." تمتم بكلام غير واضح.

ما الذي يحدث مع هذا الرجل؟ تساءلت. كان وجهه أحمر بالكامل. كان يتصرف تمامًا مثل صبي صغير يقف أمام الفتاة التي يعجب بها. عندها أدركت الأمر. ماذا لو كان مهتمًا بي؟ تذكرت عندما طلب منه عمي أن يأخذني في موعد، كيف أنه أصبح محرجًا للغاية. وبينما كنت أفكر في الأمر، وجدت نفسي فجأة أشعر بالتوتر أيضًا.

ساد صمت محرج داخل المتجر لفترة، بدا الهواء يزداد كثافة حتى صار التنفس أصعب.

عندما لم أعد أتحمل ذلك، فتحت فمي لأقول شيئًا، ولكن في تلك اللحظة بالضبط، قال تاكانو بصوت عالٍ: "أمم!"

شعرت بالتوتر تلقائيًا. افترضت أنه على وشك أن يعترف بحبه لي، وبدأ عقلي يسرع في التفكير حول كيفية رفضه بلطف.

لكن ما قاله بعد ذلك لم يكن ما كنت أتوقعه على الإطلاق.

"هل تأتي الآنسة أيهارا إلى هنا كثيرًا؟" احمر وجه تاكانو بشدة وهو يتكلم.

"بـ الآنسة أيهارا، تقصد تومو؟"

"هذا صحيح."

"إنها تتردد هنا كثيرًا أثناء استراحة الغداء من المقهى."

"عن ماذا تتحدثان أنتما الاثنان؟"

عند هذه اللحظة، شعرت أن التوتر في داخلي قد انحسر وهدأت مخاوفي.

"انتظر، هل لديك إعجاب بتومو؟" سألته.

"لا، الأمر ليس كذلك. فقط..."

"لا بأس. أعني أن تومو حقًا لطيفة. ولكن بما أنكما تعملان معًا، كنت أعتقد أنك تعرفها أفضل مني."

"لا. أنا في المطبخ. وهي في منطقة الطعام. وأنا فاشل تمامًا في التحدث مع الناس."

"يبدو كذلك. أنت خجول حقًا، أليس كذلك؟"

"هل لديها حبيب؟"

نبرة صوته عندما سأل هذا السؤال أوحت بأنه مسألة في غاية الأهمية.

"حسنًا، الآن بعد أن ذكرت ذلك، لم أسألها أبدًا. لكن تومو فتاة لطيفة وجذابة حقًا. لن أستغرب إن كان لديها حبيب."

"هل يمكنك أن تسأليها لي بشكل غير رسمي؟"

"لماذا يجب أن أكون أنا من يسألها؟ لماذا لا تسألها بنفسك؟"

"أنتما صديقتان جيدتان، تاكاكو. يمكنك أن تسأليها بطريقة طبيعية، أليس كذلك؟ إلى جانب ذلك، لم أتحدث بهذه الطريقة مع فتاة من قبل."

"لكنك تتحدث معي الآن،" قلت، متفاجئة إلى حد ما. ألم أُحسب كفتاة؟ لكن تاكانو لم يبدُ أنه لاحظ ردة فعلي.

"أنا لا أطلب منك فعل ذلك مجانًا. إن وافقت على المساعدة، سأدفع لكِ ثمن إعادة تعبئة قهوتك في المقهى كلما جئتِ."

وبهذا، غفرت له كل أخطائه. أشرق وجهي فرحًا. "حقًا؟" سألته. "في هذه الحالة، سأحضر كل يوم."

"كل يوم؟ قد يكون ذلك مبالغًا فيه قليلًا..."

"لماذا تبدو بخيلًا هكذا؟ ستحظى بفرصة الاقتراب من المرأة التي طالما حلمت بها، وكل ذلك مقابل مجرد كوب قهوة!"

"آه..." أومأ تاكانو على مضض موافقًا. "لكن أرجوكِ، عديني ألا تذكري لها أي شيء عن هذا الأمر."

"مفهوم"، قلت له وأنا أضرب صدري بثقة.

وهكذا، دخلتُ أنا وتاكانو في اتفاق سري. كنت أعلم أنه واقع في حبها سرًّا منذ نصف عام بالفعل، لكن على ما يبدو، لم يجرؤ طوال تلك المدة على أكثر من إلقاء التحية عليها. أمضى وقته كلّه وهو يراقبها بصمت، مفتونًا بروعتها. قد يبدو هذا غريبًا، لكن في الوقت ذاته، كان فيه شيء من البراءة. وبما أنني أصبحت الوسيطة في هذه القصة، أردتُ بصدق أن أساعده إن أمكن. ربما كانت تومو ستظن أن

الأمر لا يعنيني، لكن تاكانو بدا شابًا محترمًا، وإن كان خجولًا ومترددًا. فكرتُ أنه لو أُتيحت لهما الفرصة، فربما تسير الأمور على نحوٍ جيد. لذلك، بذلت جهدي، ليس فقط مقابل القهوة المجانية، بل من أجل سعادة هذين الشابين. كانت خطوتي الأولى هي جمع بعض المعلومات بشكل غير مباشر. اكتشفت أنها لا تواعد أحدًا حاليًا، ويبدو أنه لا يوجد شخص محدد يشغل بالها. لونها المفضل هو الأزرق البروسي. وحيوانها المفضل هو "الدورماوس" — فأر النوم. أما حيّها المفضل، فكان، كما هو متوقع، جيمبوتشو.

كل هذا بدا منسجمًا تمامًا مع ما كنت أعرفه عنها.

لكن ما كان يثير القلق فعلًا... هو أن تومو نفسها لم تكن تدري بما يحدث.

بعد حصولي على هذه المعلومات الجديدة، توجهت إلى مقهى "سافور"، حيث نقلتها إلى تاكانو أثناء احتسائه فنجانًا من القهوة المجانية. انحنيتُ فوق المنضدة وهمستُ: "يبدو أن الحيوان المفضل لدى تومو هو فأر النوم."

"هذا... هذا مذهل"، همس تاكانو في المقابل. لكن للأسف، أدى هذا إلى قيام صاحب المقهى، الفضولي على نحو مدهش، بنشر شائعة كاذبة بين الزبائن المنتظمين بأنني وتاكانو على علاقة.

وما زاد الطين بلة، أن كل جهودي المبذولة لصالح هذا الثنائي الشاب باءت بالفشل. تاكانو، الذي كان دوره محوريًا، لم يُبدِ أي محاولة لبدء محادثة مع تومو، مما يعني أننا لم نحرز أي تقدم على الإطلاق. أطلق صرخة نصر عندما علم أنها لا تملك حبيبًا، ولكن بهذا الإيقاع، كان سيستغرق الأمر عقدًا من الزمن قبل أن يبدأ حتى في تبادل الأحاديث البسيطة معها. كان كل شيء سيتلاشى بلا جدوى.

بدأتُ أفقد صبري. كان لا بد من إيجاد طريقة لجعل هذين الاثنين يتحدثان معًا. فكرتُ في كل شيء.

ثم وصلت أخبار جيدة من مصدر غير متوقع.

في إحدى الأمسيات، وبينما كنتُ أحتسي الشاي مع تومو في هدوء، بدأت تحدّثني عن "مهرجان الكتب المستعملة."

"مهرجان الكتب المستعملة؟ ما هذا؟" سألتها بدهشة.

قالت: "ألا تعرفين عنه، تاكاكو؟ في كل خريف، تنظم جميع متاجر الكتب المستعملة في الحي سوقًا خارجية كبيرة حيث تُعرض الكتب المخفضة. يأتي عدد هائل من الناس، فيتحول الحي إلى مكان نابض بالحياة. إنه مشهد لا يُصدق."

"يا إلهي، يبدو الأمر ممتعًا فعلًا."

"وعمك يشارك فيه، بطبيعة الحال."

"حقًا؟"

"نعم، جميع المتاجر تشارك."

شعرتُ بالحرج لأن عمي لم يخبرني بأي شيء عن هذا الحدث الكبير. حينها أقسمتُ في داخلي أن أنتقم منه لاحقًا على هذا الإهمال.

قالت تومو بابتسامة: "أنا أفكر أن أذهب هذا العام. هل تودين التجول معي؟"

وفجأة، خطرت لي فكرة. "نعم، لنذهب. لنذهب معًا!" قلتُ بحماس. ربما تكون هذه هي الفرصة التي نحتاجها.

يجب أن أخبر تاكانو.

5

أقيم مهرجان كاندا للكتب المستعملة على مدار أسبوع في أواخر أكتوبر. وخلال ذلك الأسبوع، امتلأت الشوارع بالعربات والرفوف المكدسة بالكتب المستعملة، مما حولها إلى سوق للكتب في الهواء الطلق.

كان المهرجان ناجحًا بشكل فاجأني. توافد عشاق الكتب من جميع الأعمار إلى الحي. ربما لأنه حدث سنوي، لكن الإقبال تجاوز توقعاتي بكثير. كان بالإمكان الشعور بالحيوية في شارعي ياسكوني وساكورا. هذا الحي العتيق المليء بمكتبات الكتب المستعملة كان يعج بالحركة قبل الظهيرة. كان مشهدًا رائعًا بحق.

شاركت مكتبة موريساكي في المهرجان أيضًا، بطبيعة الحال. أخرج عمي وأنا العربة التي وضعنا فيها جميع الكتب المستعملة التي كنا قد خصصناها للأيام الماضية. ولدهشتنا، كان لدينا ضعف عدد الزبائن المعتادين يأتون إلى المتجر. بل كان هناك أحد الشجعان القلقين من أن يفوته التخفيض فاشترى صندوقًا كاملًا من كتبنا المخفضة.

وكما هو متوقع، كان عمي المحب للمهرجانات في قمة سعادته. يبدو أنه كان يحضر المهرجان تقريبًا كل عام منذ طفولته. وبفضل ذلك، كان يشعر بجسده يتوق إليه بمجرد اقتراب ذلك الوقت من السنة.

قال: "بعد هذا، سيصبح الطقس باردًا، وسينخفض عدد الزبائن القادمين إلى المتجر بشكل ملحوظ. نحن بحاجة إلى جني ما يكفي من المال الآن لنتمكن من الاستمرار." كان من النادر أن يتحدث عمي بهذا الأسلوب التجاري، ولكن على الرغم مما قاله، بمجرد أن فقدته من نظري للحظة، وجدته يزور متاجر أخرى. وبالطبع، كان من واجبي أن أعيده.

في مساء اليوم الثالث، أنهيت عملي مبكرًا بإذن من عمي وخرجت مع تومو لنلقي نظرة على بقية المهرجان. ومن الذي ظهر فجأة، كما لو كان بالصدفة، سوى تاكانو—تمامًا كما خططنا.

"يا لها من مفاجأة!" قال.

"أوه، حقًا كذلك!" أجبته. كنا ممثلين سيئين في أداء هذه المسرحية الواضحة، لكن تومو كانت بريئة جدًا لدرجة أنها لم تلاحظ أي شيء على الإطلاق.

وبهذا، قال أحدنا: "لماذا لا نتجول نحن الثلاثة معًا؟"

أمام تومو، بدا تاكانو متيبسًا ومتوترًا في البداية. همست له بهدوء: "ماذا تفعل؟ تبدو مثل روبوكوب."

أجابني بصوت آلي تقريبًا: "لقد نسيت كيف أمشي." سمعتنا تومو وانفجرت ضاحكة.

لماذا بدت كل هذه الأجواء الاحتفالية في الحي وكأنها ترفع من معنوياتنا أثناء التجول؟ كان الاثنان يتمايلان في نزهتهما بوجوه مفعمة بالحيوية لدرجة أنهما بدوا كزوجين.

بالنسبة لتاكانو، كان هناك سبب آخر رئيسي لهذا. عندما تحدثت إليه تومو، بدا مبتهجًا، كما لو كان يركض في حقل من الزهور. كان التعبير على وجهه مضحكًا للغاية لدرجة أنني كافحت لأمنع نفسي من الانفجار ضاحكة.

صادفنا سابو أثناء تجولنا بين الكتب في الجناح الخاص الذي تم إعداده عند تقاطع جيمبوتشو الرئيسي. كان سابو مع زوجته، وكان يحمل العديد من الأكياس الورقية لدرجة أنه بالكاد يستطيع حملها في يديه. بدت زوجة سابو أنيقة للغاية في كيمونو متناسق تمامًا، لدرجة أنني فكرت بأنها قد تكون أكثر من مجرد شريكة مناسبة له. لكن عندما رأيتهما معًا جنبًا إلى جنب، شعرت بتلك الرابطة التي لا يمكن أن تأتي إلا من سنوات قضاها الزوجان معًا، في الأوقات الجيدة والسيئة. كان الشعور جارفًا. مكتبة سُر مَن قرأ

قلت لسابو عندما رأيت كل الأكياس التي كان يحملها: "يبدو أنك اشتريت الكثير مرة أخرى."

قالت زوجته بحزن، وهي تدفعه قليلًا من الجانب: "لقد فعل ذلك. لا يتوقف عن شراء المزيد من الكتب. منزلنا ممتلئ بها الآن. هل تمانعين في المجيء يومًا ما وشراءها كلها؟"

"أوه لا، أرجوك لا هذا!" قال سابو وهو في حالة ذعر. "ألم أقلل من عدد الكتب قليلًا في اليوم الآخر؟" وضع يديه معًا متوسلًا إليها.

حتى بعد أن ابتعدا، لم نتمكن من التوقف عن الضحك.

لم تختفِ الحشود في شارع ياسوكوني بمجرد حلول الظلام. كنا لا نزال نسير بسعادة بين الزحام.

واصلنا التجول في السوق، نشتري كل الكتب التي استطعنا الحصول عليها. قالت تومو: "هناك متجر مثير للاهتمام هنا"، وأخذتنا إلى كتب كينتوتو، وهو متجر يبيع كتب المدارس الابتدائية من حقبة *تايشو* في أوائل القرن العشرين. بدافع اللحظة، اشتريت كتابًا دراسيًا يابانيًا مقابل ألفي ين. كانت اللغة فيه قديمة جدًا لدرجة أنها بدت منعشة بشكل مفاجئ.

في المساء، ومع بدء إغلاق جميع المتاجر، ذهبنا إلى مطعم على الطراز الغربي داخل *سانسيدو* وتناولنا العشاء. بحلول هذه اللحظة، بدا تاكانو مرتاحًا تمامًا. لم يعد يتصرف وكأنه يرى نفسه يركض في حقل من الزهور كلما كان أمام تومو. تبين أنه يعرف الكثير عن الأدب الأجنبي. أثناء تناولنا للطعام، تحدث بسهولة عن سحر *فولكنر* و*كابوتي* و*أبدايك*، لدرجة أنك لم تكن لتصدق مدى توتره في وقت سابق. كانت تومو وأنا منبهرين به تمامًا.

في النهاية، كان يومًا ممتعًا وحافلًا. بعد ذلك، شكرني تاكانو وأعرب عن امتنانه الكبير، لكنني لم أجد أي سبب لشكره، لأنني كنت أنا من استمتع به أكثر من أي شخص آخر.

6

في الليلة الأخيرة من المهرجان، بعد أن أغلقنا المتجر، كنت جالسة وحدي في غرفتي، غارقة في شرودي. خارج النافذة، كانت الشوارع هادئة تمامًا وساكنة، لدرجة أن حشود الأسبوع الماضي بدت وكأنها مجرد حلم. بينما كنت مستلقية على الفوتون، بدا صوت دقات منبهي مرتفعًا للغاية. كنت أحدق في السقف عندما عاد ذلك الشعور الغريب إليّ، ذلك الشعور بالوحدة الذي راودني عندما وصلت إلى هنا لأول مرة.

فجأة، سُمع طرق على الباب. شعرت بكتفيّ يرتجفان. وعندما استدرت نحوه بخوف، رأيت في الفتحة الضيقة عند حافة الباب المنزلق عينًا تحدق بي.

"آآآه!" شحبتُ وصرختُ كأنني بطلة في فيلم رعب.

"أوه، هل فاجأتك؟" قال صوت غريب مرتفع النبرة. ثم ظهر رأس أشعث في نطاق رؤيتي.

تنفست الصعداء.

"من فضلك لا تفاجئني بهذه الطريقة، يا عمّي."

"آسف، آسف." وضع الكيس البلاستيكي الذي كان يحمله بكلتا يديه وقال: "هل أستطيع الدخول لدقيقة؟" بينما كان يشق طريقه إلى داخل الغرفة. أخرج بعض زجاجات الكحول والعصير، ووضعها على طاولة الطعام الصغيرة. حتى أنه أحضر رقائق البطاطس ووجبات الحبار المجفف.

"ألم تذهب إلى حفلة ختام المهرجان؟" سألتُ.

"ذهبت فقط لإلقاء التحية ثم عدت. بالإضافة إلى ذلك، أفضل أن أقيم حفلة ختامية بيننا فقط"، قالها مع ابتسامة طفل شقي.

"الآن بعد أن ذكرت ذلك، لم نشرب معًا من قبل."

"حسنًا، لنفعلها إذن." نشر عمي كل محتويات كيسه البلاستيكي وبدأنا حفلتنا الصغيرة. كنا نرتشف الساكي، ونستمع إلى زقزقة الصراصير الخافتة القادمة من النافذة المفتوحة. احتضننا الليل الهادئ، ومضى الوقت ببطء شديد لدرجة أنه بدا وكأنه قد توقف تمامًا.

مد عمي ساقيه براحة بينما كان يستند إلى رف الكتب.

"تاكاكو، يبدو أنك اعتدت تمامًا على العيش هنا"، قال.

"أعتقد ذلك أيضًا. في البداية، لم أكن متأكدة مما إذا كان الأمر سينجح، لكنه نجح بطريقة ما. أنا أستمتع تمامًا بهذه العطلة الصغيرة من حياتي"، قلتُ مع ضحكة خفيفة.

"أنا سعيد لسماع ذلك."

"لكنني أشعر بالإحباط أيضًا."

"بشأن ماذا؟"

"لقد كنت تعرف منذ البداية أنني سأحب العيش هنا."

"لا تشعري بالسوء حيال ذلك. يسعدني جدًا أنك تحبين المكان. إذا كنتِ ترغبين، كما تعلمين، "يمكنك البقاء هنا للأبد."

عندما سمعت كلمات عمي اللطيفة، شعرت بوخزة خفيفة في قلبي.

"لماذا أنت لطيف معي هكذا؟ أعلم أنني ابنة أختك، لكننا لم نرَ بعضنا منذ زمن طويل."

"لأنني أحبكِ، تاكاكو." قالها دون أي تردد أو إحراج. بدا شارد الذهن تقريبًا. "أعلم أنه بالنسبة لكِ، قد أكون مجرد قريب لا تعرفينه جيدًا، لكن بالنسبة لي، الأمر مختلف. بالنسبة لي، أنتِ ملاك."

كدتُ أن أبصق جعتي من الدهشة.

لم يسبق لأحد أن قال لي شيئًا كهذا من قبل لا رجل ولا امرأة تحدث إليّ بهذه الطريقة من قبل.

"هذا صحيح. ملاك. أنتِ الشخص الذي أنقذني."

"أنقذتكَ؟" سألت، وأنا أزداد حيرة.

لم يكن لدي أي ذكرى أنني فعلتُ له أي شيء.

"هذا صحيح. لقد أنقذتني. هذه طريقتي في التفكير بالأمر. لكنني متأكد أنه لن تكون قصة مثيرة للاهتمام بالنسبة لكِ. دعينا نغير الموضوع."

"لا، أريد أن أسمعها"، قلتُ بإخلاص.

حدق عمي في وجهي للحظة، ثم سألني إن كنتُ أعده بألّا أضحك.

أومأتُ بالموافقة، وبدأ عمي يتحدث ببطء، كما لو كان يسترجع الذكريات.

" بدأ الأمر في أواخر سنوات مراهقتي. كنت أعاني من اكتئاب عميق، ولم أعد أرى أي معنى للحياة. لم أشعر أبدًا أنني أنتمي إلى أي مكان، لا في البيت ولا في المدرسة. انكمشت على ذاتي، وأغلقت كل الأبواب على العالم. كنت شديد الحساسية والوعي بنفسي، تراودني طموحات مثالية كثيرة تفوق قدرتي، ونتيجة لذلك، لم أتمسك بأي منها. كنت خاليًا من كل شيء. هذا ما كنت عليه. ولم يكن في هذا العالم مكان أشعر أنني أخصّه.

لم أتخيل يومًا أن عمي شعر بهذه الطريقة. ومع ذلك، لم أفهم بعد ما علاقة كل هذا بي، أو لماذا وصفني بـ"الملاك."

قال: "لقد وُلدتِ تقريبًا في تلك الفترة. أتذكر المرة الأولى التي رأيتك فيها أحضرتكِ أختي إلى المنزل لتعريف العائلة بالحفيدة الجديدة. كنتِ صغيرة للغاية، ملفوفة ببطانية، تغطين في نوم هادئ. وفي تلك اللحظة، شعرتُ بشيء يهز كياني شعرتُ أنني على وشك البكاء. كيف يمكنني شرح ذلك؟ كان كأن الحياة نفسها تسري في قلبي من جديد. فكرة أن هذا الكائن الصغير سيكبر، ويجرب كل شيء لأول مرة، ويفتح عينيه على هذا العالم... كل ذلك منحني شعورًا بالفرح، كأنني أنا من سيعيش تلك اللحظات."

ثم تابع بصوت أكثر هدوءًا: "شعرتُ وكأن النور يتسلل إلى قلبي المظلم. لم يكن واضحًا تمامًا بعد، لكنني شعرت بشيء ما ينمو في داخلي— بذرة هدف جديد. وفي تلك اللحظة، قررت: حان وقت التوقف عن العيش خلف قضبان قفصي. كان الوقت قد حان لأن أتحرك، أن أفتح عيني، وأن أتعلم من العالم من حولي. كان الوقت قد حان لأبدأ رحلتي في البحث عن مكان أنتمي إليه."

"وجدت مكانًا أنتمي إليه، مكانًا يمكنني القول بثقة إنه يشعرني بالراحة. كل الرحلات التي قمت بها، وكل الكتب التي قرأتها، كانت نتيجة لذلك القرار. بعبارة أخرى، تاكاكو، لقاؤك قادني إلى نوع من 'الإلهام.'"

"إلهام... هذا مذهل."

"لذا، هذا ما أعنيه عندما أقول إنكِ من أنقذتني. ولهذا السبب سأفعل أي شيء من أجلك."

قال عمي ذلك بصدق شديد لدرجة أنني لم أعرف كيف أرد. شعرت بالخجل من طفولتي، من غضبي عليه، ومن شفقتي على نفسي. أن أفكر أنه طوال هذا الوقت كان يهتم بي كثيرًا. شعرت وكأنني أخيرًا فهمت السبب الذي جعله لطيفًا معي عندما كنت صغيرة. كنت غبية. في ذلك الوقت، كنت أعتقد أنه من الطبيعي أن أُعامَل بلطف.

فرحة إدراكي أن هناك شخصًا يحبني بهذا القدر جعلت قلبي يكاد ينفجر. حاولت أن أمزح لأخفي الدموع التي بدأت تتجمع في عينيّ.

"عمي"، قلت، "هذا ليس بالضبط نوع الحوارات التي يجب أن تلقيها وأنت تأكل الحبار المجفف."

انفجر عمي ضاحكًا.

"إذن، هل وجدت في النهاية المكان الذي تنتمي إليه؟"

"حسنًا، أعتقد أنه يمكنكِ قول ذلك. لكن استغرقني الأمر سنوات عديدة للوصول إلى هنا." أومأ عمي بهدوء. هذا هو. مكتبة موريساكي القديمة والمتهالكة. كانت

لديّ العديد من الطموحات. سافرت إلى جميع أنحاء العالم، فقط لأعود إلى المكان الذي عرفته منذ طفولتي. أليس هذا مضحكًا؟

في النهاية عندها عدت إلى هنا. في تلك اللحظة، أدركت أخيرًا أن الأمر لم يكن مجرد مسألة مكان، بل كان شيئًا بداخلي. لا يهم إلى أين ذهبت، أو مع من كنت، إذا كنت صادقًا مع نفسي، فهذا هو المكان الذي أنتمي إليه. وعندما أدركت ذلك، كنت قد قضيت نصف حياتي بالفعل. لذا عدت إلى مينائي المفضل، وقررت أن ألقي المرساة. بالنسبة لي، هذا مكان مقدس. إنه المكان الذي أشعر فيه بأكبر قدر من الراحة."

"هذا يذكرني بشيء"، قلت. "منذ وقت طويل، أخبرني سابو أنك كنت منقذ المتجر."

ضحك وقال: "منقذه؟ هذه مبالغة كبيرة. في الأساس، عندما مرض والدي، كان المتجر على حافة الانهيار—كل ما فعلته هو أنني استلمته وأبقيته مستمرًا. في البداية، كان والدي يعارض بشدة أن أتولى إدارة المتجر.

كانت تلك فترة صعبة في تجارة الكتب المستعملة، بالإضافة إلى أنني كنت ذلك الشاب غير المسؤول. لكنني ركعت على ركبتي وتوسلت إليه أن يثق بي ويسلم المتجر لي."

"إذًا هكذا حدث الأمر."

"أعني، لم أكن أستطيع الجلوس مكتوف الأيدي وأدع كل شيء ينهار، أليس كذلك؟ هذا هو المكان الذي قضيت فيه معظم طفولتي.

كنت أجلس عند المنضدة بجانب والدي، أقرأ بهدوء كتبًا مثل *حكايات هانز كريستيان أندرسن الخيالية*، ومن حين لآخر، كان يربت على رأسي بحزم بيده الضخمة. كنت سعيدًا حقًا آنذاك. شعرت أنه إذا اختفى هذا المكان، فستختفي كل ذكرياتي معه أيضًا. لم أكن لأتحمل ذلك."

شعرت بصدمة عارمة مما كان يخبرني به عمي.

كنت أظن أنني أعرف أو على الأقل كنت أنوي اكتشاف ما هي طبيعة علاقتي بعمي. ألم أدرك أنه كان يحمل همومه وألمه الخاص؟ ألم ألاحظ أن قلبه كان يصرخ منذ وقت أطول مما كان عليه قلبي؟ لماذا لم أرَ مقدار ما كان يجول داخله؟

ربما كان السبب وراء تصرفات عمي الطائشة أمام الآخرين هو رغبته في إخفاء مشاعره الحقيقية عنهم. لا بد أن بذل هذا الجهد كان مرهقًا للغاية. فلو نظر إليه أي شخص، لما استطاع أن يدرك ما كان يشعر به في داخله...

مجرد التفكير في ذلك جعلني أشعر بألم في قلبي. أتمنى لو أن هذا المكان كان يعني لموموكو بقدر ما يعني لي. لقد رحلت في الوقت الذي كنت أبذل فيه جهدًا كبيرًا لإعادة بناء المتجر. وحتى النهاية، لم أستطع فهم ما كانت تشعر به حقًا في أعماقها."

"عمي."

"نعم؟"

"أنا أحب هذا المتجر. حقًا."

كنت أنوي قول شيء أكثر ذكاءً، لكن هذا ما خرج من فمي. ومع ذلك، كان ذلك صادقًا، وشعرت به بصدق.

"شكرًا لك. قد لا يكون هذا المتجر لا غنى عنه لمعظم الناس، لكن إذا كان يعني الكثير حتى لشخص واحد آخر، فأشعر أنني قادر على الاستمرار به لعقود. إنه مثل السطر الذي قاله ناؤي كينوشيتا في *اعترافات زوج*:

قاربي يسير بخفة، ينجرف بلا هدف تحت رحمة التيار.

هكذا أريد أن أعيش حياتي مع هذا المتجر، قال عمي، ثم ابتسم دون أن يضيف شيئًا آخر.

منذ تلك الليلة، بدأتُ أفكر بجدية أكبر في حياتي.

كنتُ قد وجدتُ هنا مكانًا دافئًا وهادئًا لأبقى فيه، لكنني أدركتُ أنني لا أستطيع الاعتماد على الآخرين إلى الأبد. إن فعلتُ ذلك، فلن أنضج أبدًا، وسيظل قلبي هشًا. كنتُ مقتنعة بأنه إن لم أغادر، فلن أتمكن يومًا من البدء من جديد.

لكن، ما إن خطرت لي فكرة الرحيل، حتى اجتاحتني المخاوف. فكرة المغادرة أرعبتني. فقط... دعوني أبقى هنا قليلًا بعد. في أعماقي، كنتُ لا أزال أتمسك بالاعتماد على غيري.

وفي النهاية، ترددتُ. ولوقتٍ طويل بعد ذلك، بقيت أعيش في الطابق الثاني من مكتبة موريساكي.

ربما كنتُ بانتظار إشارة ما. ثم، في أحد الأيام، جاءت فجأة.

7

وصلت المكالمة في الثاني من يناير.

بدلًا من أن أذهب في عطلة، قضيتُ الأيام المحيطة برأس السنة أتجول حول المكتبة. وبما أن المتجر كان مغلقًا حتى الخامس من الشهر، وكان عمي قد خرج في رحلة إلى الينابيع مع أصدقائه من رابطة الكتب، وجدتُ نفسي وحيدة تمامًا.

في أثناء العطلة، بدت جيمبوتشو كأنها مدينة أشباح. كل المطاعم والشركات كانت مغلقة، ولم يكن أحد يتجوّل في الخارج. حتى السيارات اختفت من شارع ياسوكوني.

في ليلة رأس السنة، ذهبتُ مع تومو إلى معبد يوشيما تينجين، أما بقية التقويم فكان فارغًا. في اليوم الأول من السنة، ثم في اليوم التالي، استيقظتُ مبكرًا وتجوّلتُ في الحي. كان الطقس رائعًا، والهدوء يعمّ المكان كأنني أسير في مدينة مهجورة. حتى الهواء بدا أكثر نقاءً. بشالي المتطاير في الريح، كنت أمشي بلا هدف، أتوقف من حين لآخر لأتنفس بعمق.

وعندما عدتُ إلى البيت في مساء اليوم الثاني، لاحظتُ ضوءًا يومض على هاتفي الخلوي. كان الرقم نفسه الذي تركتُه في الغرفة. ورغم أنني حذفته من هاتفي، عرفتُه فورًا بمجرد أن رأيت سجل المكالمات الفائتة.

في تلك اللحظة، تلاشت كل مشاعر الراحة التي كنت أشعر بها، وضاق صدري. وارتجف إصبعي وأنا أضغط على زر الاستماع.

"مرحبًا، تاكاكو. مضى وقت طويل. كيف حالكِ؟ لديّ خطط كبيرة مؤخرًا. هل ترغبين في الخروج؟ إن اتصلتِ بي، يمكنني القدوم فورًا."

ضغطتُ على زر الحذف قبل أن تنتهي الرسالة، لكن الأوان كان قد فات. بدأ ذلك الشعور الرهيب يتسرّب إلى داخلي. حدث كل شيء بسرعة كبيرة. والآن، لم أعد قادرة على التخلص منه.

عندما أعيد فتح المحل بعد العطلة، كانت المرارة ما تزال تختمر داخلي. لا أستطيع وصف الإحساس بدقة، لكنني شعرت وكأن شيئًا ثقيلًا وباردًا يستقر في قلبي، يغلقه ببطء. أدركت من جديد أنني لم أواجه أيًا من مشكلاتي حقًا. كنت فقط أؤجّل المواجهة، وأنتظر أن يمرّ الوقت. ولكن، بعد ستة أشهر كاملة، يكفي أن أسمع صوته لوهلة، لأشعر وكأن كل شيء قد عاد إلى الوراء. الحقيقة أن شيئًا لم يُحل بعد.

في نهاية يناير، وبينما كنّا نغلق المتجر في المساء، قال لي عمي:

"تاكاكو، هل هناك شيء ترغبين في الحديث عنه؟ إن كان هناك ما يزعجكِ، تحدثي إليّ."

شعرتُ بالدهشة. "كيف عرفت؟"

"ماذا تعنين؟ الأمر واضح تمامًا. لم تعودي تبتسمين."

قال ذلك وكأنه يعلم ما يجول في خاطري.

كنتُ أتظاهر بأن كل شيء طبيعي، لكن عمي كان يرى من خلال ذلك.

"كنتِ تبدين بخير مؤخرًا، ولهذا لم أقلق. لكن في الأيام الأخيرة... بدوتِ غريبة نوعًا ما. وعندما أتحدث إليكِ، يبدو وكأنكِ لستِ هنا."

"أعتقد أنك على حق..."

قال: "ربما لا أكون الشخص المناسب لحلّ مشكلتك، لكن قد تشعرين بتحسن لو تحدثتِ إليّ."

لم أكن أنوي إخبار أحد، لكن حين سمعت كلماته، أدركتُ كم كنت مخطئة. كنت بحاجة فعلًا لمن يسألني عمّا أشعر به. كنت أريد من يواسيني. كنت أحتاج إلى من يعتني بي. وعندما فهمت ذلك، صُدمت من مدى ضعفي. لكن كلمات عمي اخترقت كل دفاعاتي.

وبينما كنا نجلس سويًا في غرفتي نشرب بصمت، أخبرته بكل شيء. في الخارج، بدأ المطر الشتوي يهطل بخفة، وكان صوت قطراته يرتطم بالنافذة بإيقاع حزين.

"ليست مشكلة كبيرة..." قلت، محاوِلة أن أبدو أقوى مما أشعر.

لكن أثناء حديثي، أدركتُ أنها حقًا ليست مأساة. فقدتُ حبيبًا، وفقدتُ عملي. هذا كل شيء.

بدأت أروي الأحداث والضحك يقطع حديثي من حين لآخر، كأن كل ما مررتُ به لم يكن سوى حكاية عابرة. ضحكتُ، وواصلتُ الحديث، وحين انتهيت... شعرتُ بتحسن خفيف، لكنه حقيقي.

وخلال كل ذلك، ظلّ عمي صامتًا، يحتسي كأس الويسكي بصمت غير معتاد. حتى بعد أن أنهيت كلامي، وظللتُ أتلعثم طوال ساعة تقريبًا، لم يقل شيئًا. كان يحدّق في الكأس بين يديه، كما لو كان غارقًا في أفكاره.

وأخيرًا، شرب ما تبقى من الكحول في كأسه وقال بحزم: "حسنًا، لنذهب ونجعله يعتذر. سنجبره على أن يقول: أنا آسف لأنني آذيتك. أنا شخص فظيع."

كنتُ مصدومة. لم أكن أتوقع هذا التطور المفاجئ على الإطلاق.

"ماذا؟ الآن؟ لقد أصبحت الساعة الحادية عشرة."

"لا يهم." قال ذلك، ثم نهض وبدأ بالخروج. أمسكتُ بذراعه في حالة من الذعر.

"لا بأس. كنتُ غبية. أردتُ فقط أن أخبر شخصًا بما حدث. أنت مخمور، أليس كذلك؟"

"لا، لستُ مخمورًا. حسنًا، ربما قليلاً. لكن هذه ليست القضية. ألستِ غاضبة، تاكاكو؟ لقد استغلكِ."

"نعم، أنا غاضبة. كنتُ أزداد غضبًا وغضبًا، وما زلتُ غاضبة."

"لهذا السبب علينا الذهاب. عليكِ أن تزيلي هذا الحمل عن صدرك. إذا لم تفعلي، فستظل هذه القصة تطاردكِ للأبد."

"لكنني سأشعر بإحراج أكبر إذا تحول الأمر إلى تصرف طفولي، وكأنني طفلة تجلب والديها عند حدوث شجار"، قلتُ، وأنا على وشك البكاء.

"ليس هناك ما يدعو للإحراج!" صاح عمي بصوت بدا مزلزلًا بشكل مدهش لشخص صغير البنية مثله. تردد صدى صوته في الغرفة الصغيرة. "ليس هناك ما يدعو للإحراج. أنتِ ابنة أختي، وأنتِ تهميننني. لقد أخبرتكِ بالفعل، أليس كذلك؟ أنا أحبكِ حقًا. لذلك لا يمكنني السماح لهذا الرجل بالإفلات بفعلته. إنه كبريائي الشخصي. لا يمكنني التخلي عنه."

"أنتَ تناقض نفسك. وفي النهاية، كل هذا يعود إلى كبريائك."

"لهذا السبب يجب أن أتخلص من هذا العبء. حتى لو لم تأتي معي، سأذهب وحدي. أخبريني بالعنوان. سألقنه درسًا."

تحولت المحادثة فجأة إلى مسار خطير.

"مـ-مهلًا لحظة. هذا لن ينتهي على خير. سيستدعي أحدهم الشرطة. ثم إنه كان لاعبًا في فريق الرجبي في المدرسة الثانوية والجامعة. إذا حاول شخص نحيل مثلك ضربه، فستنتهي بك الحال مضروبًا عشر مرات أسوأ."

"هـ-هذا لا يخيفني"، قال عمي، لكنه بدأ يتراجع قليلاً إلى الخلف.

"تعال، لا داعي للقيام بشيء متهور. لنعد إلى الشرب"، قلت، محاولة رسم ابتسامة لأخفف التوتر.

"لا تهربي من الأمر، تاكاكو"، قال عمي وهو يستدير إليّ بجدية مطلقة.

"أنا معكِ. لا تهربي."

نظر إليّ عمي بحدة. استطعت رؤية القوة في عينيه. لبضع ثوانٍ، حدقنا في بعضنا البعض.

كان محقًا. لم يكن بإمكاني الهروب. إذا فعلتُ، فلن يتغير شيء. أليس هذا واضحًا؟

عضضت على لساني بقوة.

"حسنًا، فهمت. لنذهب، عمي."

أومأ عمي برأسه بحزم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عندما وصلنا إلى أمام شقته، بعد أربعين دقيقة في سيارة الأجرة، كانت الأمطار قد اشتدت. ركضنا من دون مظلة إلى مدخل المبنى وتبللنا تمامًا.

"هل هذه هي؟"

توقف عمي أمام الباب الذي يحمل الرقم 204.

"بالتأكيد"، أجبته، بينما كانت الذكريات تعود إليّ واحدة تلو الأخرى.

حين فكرت بالأمر، أدركت أنني ربما زرت هذا المكان مرتين فقط خلال علاقتي بهيدآكي. في كل مرة كنا نلتقي في بيت، كان دائمًا بيتي أنا. استوعبت أخيرًا كم كان ذلك غير طبيعي وكم كنت بطيئة في ملاحظته.

كان شعر عمي يقطر بالماء حين ضغط على جرس الباب دون تردد. جسدي كله كان يرتجف من البرد، من التوتر. وحتى الغثيان بدأ يتسلل إليّ. القوة التي شعرت بها عندما قلت "فهمت" تبخّرت تمامًا ما إن وجدت نفسي واقفة أمام باب هيدآكي.

حدقت في الباب المعدني وأنا أنتظر ردًا، وفي أعماقي كنت أتمنى لو نعود أدراجنا ببساطة ونتظاهر أن شيئًا لم يكن. لكن فات الأوان. سمعنا صوتًا خافتًا يحرك شيئًا خلف الباب، ثم تلاه طقطقة القفل وهو يُفتح، ثم انفتح الباب بمقدار إصبع. وجاء الصوت المألوف، منخفضًا بعض الشيء: "من هناك؟"

أمسك عمي بالباب فورًا ودفعه لينفتح أكثر.

وقف هيدآكي مصدومًا عند المدخل، مرتديًا بدلة رياضية، فمه مفتوح من الدهشة. كان يبدو وكأنه استيقظ لتوه من غفوة—شعره منكوش، وعلى خده أثر وسادة. ومع ذلك، كانت عيناه اللوزيتان وكتفاه العريضان كما أتذكرهما تمامًا. بالطبع، لم يمضِ وقت طويل... لكن مجرد رؤيته مجددًا جعل الألم يعود فجأة إلى صدري. تلفّت هيدآكي بيني وبين عمي، بنظرة ذاهلة، ثم ركّز على عمي وسأله:

"من أنت؟"

"أنا عمّ تاكاكو."

"هاه؟"

"شقيق والدتها، ساتو."

"لا، فهمت هذا الجزء. أقصد، ماذا تفعل هنا؟"

"آه، لن آتي من دون سبب. هل نبدو وكأننا نبيع اشتراكًا في صحيفة؟"

"لا، لكن فقط أخبرني لماذا جئت." قالها بنفاد صبر.

كنت أراقب الحوار يتصاعد بقلق. بدا عمي عدائيًا بشكل غير معتاد تلك الليلة.

"تريد أن تعرف لماذا نحن هنا؟" قال عمي. "جئنا لأنك فعلت شيئًا بشعًا. لا تتظاهر بعدم الفهم."

"هاه؟" رفع هيدآكي صوته، لكن عمي لم يتراجع لحظة.

"لقد عبثت بمشاعرها دون رحمة حتى دفعتها لترك وظيفتها. ألا تشعر بأي شيء؟ ألا تشعر بالذنب لأنك آذيت إنسانة بهذا الشكل؟"

"انتظر لحظة، هل قالت إنني آذيتها؟"

"قالت هذا فعلًا."

"هل أنت غبي؟ ربما لأنك عمها، لا أعرف، لكن هل تعتقد أنك تستطيع تصديق كل ما تقوله هذه المرأة؟ من الواضح أنها تكذب. هي من فرضت نفسها عليّ!"

"ما الذي ستجنيه من الكذب؟ أليس خطؤك أنها تركت وظيفتها، وما زالت تعاني بسببك؟"

"ربما استقالت لأنها شعرت بذلك."

أطلق عمي تنهيدة طويلة عندما سمع ما قاله هيدآكي. "لا فائدة، تاكاكو. هذا الرجل فاسد حتى النخاع."

"أيها العجوز، انتبه لكلامك."

تقدم هيدآكي إلى الردهة، ينظر إلى عمي بغضب. كان طويلًا جدًا لدرجة أن هناك فرقًا يقارب العشرين سنتيمترًا في الطول بينهما. لذا، حتى مع تحديق عمي إليه بقوة، كان التأثير محدودًا للأسف.

"هل هناك خطب ما؟"

ظهرت امرأة ترتدي البيجاما برأسها من داخل الشقة. كانت خطيبته، مورانو.

سارت الأمور من سيئ إلى أسوأ. البقاء هناك قد يكون محرجًا، قد يكون لا يُطاق، لكن لم يكن هناك مهرب الآن.

"تاكاكو؟" قالت مورانو.

عندما رأتني، عبست وقالت، "ما الذي حدث بحق السماء؟ أنتِ مبللة بالكامل."

"لقد ظهرت فجأة من العدم. أليس كذلك، تاكاكو؟ هل فقدتِ عقلك؟ بماذا كنتِ تفكرين عندما قررتِ الظهور هنا في منتصف الليل مع هذا العجوز؟"

"أخبريهم، تاكاكو."

"أمم..."

خائفة، نظرت حولي ورأيت أن الجميع يحدق بي.

كيف انتهى بي المطاف هنا؟

شعرت بأن نظراتهم تخترقني. كنت أرغب في الاختفاء كالدخان. كانوا جميعًا ينتظرون بصمت أن أقول شيئًا. بحثت في ذهني عن أي شيء يمكن أن يخفف الموقف.

كنت في الجوار وقررت المرور... كنت آمل أن يعيد لي كتابًا كنت قد أعرته إياه... أردت أن أهنئك على خطوبتك ...لا، لا شيء من ذلك سينجح.

كان كل ما أردت قوله مختلفًا تمامًا. لماذا كنت هنا؟ لأخرج ما في صدري. لو كنت سأخبرهم فقط بما يريدون سماعه، فلن يصلح ذلك أي شيء.

أمرت قلبي بأن يستعد.

"أنا..."

كانت كل الأنظار موجهة إلى فمي. أخذت نفسًا عميقًا. كان عمي ينظر إليّ بتشجيع. امتلأت عيناي بالدموع. وفي تلك اللحظة، شعرت بكل المشاعر التي تراكمت في صدري تتفجر داخلي. لم يكن هناك وقت للتفكير فجأة، اندفعت الكلمات من فمي كسيل جارف.

"جئت لأنني أريدك أن تعتذر! ربما كنت تلهو فقط، لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لي. أنا أحببتك بصدق. أنا إنسانة. لدي مشاعر. قد تنظر إلي وترى مجرد امرأة يمكنك استغلالها، لكنني أفكر، وأتنفس، وأبكي. هل تعرف كم آلمتني؟ أنا... أنا..."

بعد ذلك، لم أجد كلمات أخرى. كنت مبللة تمامًا من رأسي حتى قدمي بسبب المطر، والدموع، وأنفي الذي يسيل. لكن بعد كل هذا الوقت، أخيرًا تمكنت من قول الكلمات التي أردت قولها في تلك الليلة في المطعم.

"أحسنتِ، تاكاكو"، قال عمي واضعًا ذراعه حولي ليشدني إليه.

"ماذا ستفعل الآن؟ لقد أخبرتك بصدق كيف تشعر. عليك أن ترد."

انخفض رأس هيدآكي لفترة طويلة دون أن يقول شيئًا. وأخيرًا، تمتم بهدوء: "هذا سخيف. لا أملك الوقت لأضيعه مع أشخاص ليس لديهم شيء يفعلونه. أنا ذاهب للنوم. إلا إذا كنتما تريدان مني الاتصال بالشرطة، فمن الأفضل أن تغادرا."

بعد قوله ذلك، أغلق الباب بهدوء. سمعنا صوت القفل يُدار من الداخل. ثم خيم الصمت على الردهة.

"هيه!"

حدق عمي في الباب بغضب كأنه مصارع ثيران، ثم بدأ يضربه بقبضتيه بعنف. تشبثت به من الخلف بيأس.

"هذا يكفي، عمي."

"لكن تاكاكو..."

"كان هذا كافيًا. حقًا. أشعر بتحسن، ربما أفضل مما شعرت به طوال حياتي حتى الآن. إنه لأمر مدهش. قد تكون هذه هي المرة الأولى التي أرفع فيها صوتي وأقول لشخص آخر ما أشعر به حقًا"، قلت، ثم انفجرت ضاحكة بينما كان وجهي مغطى بالدموع والمخاط.

"إذا كنتِ تقولين ذلك، تاكاكو..." تمتم عمي، ويبدو عليه بعض الاستياء.

"إنه بخير حقًا الآن."

"لنعد إلى المنزل، حسنًا؟ بهذا المعدل، سنصاب بنزلة برد كلانا."

وأمام الباب، تمتمت وداعًا أخيرًا لذلك المكان، ثم تركت كل شيء خلفي.

في سيارة الأجرة أثناء طريق العودة إلى المنزل، بالكاد تحدثنا. كان عمي، وقد استنفد كل طاقته، مستلقيًا في المقعد الخلفي. جلست بجانبه، متحررة أخيرًا من مخاوفي، غارقة في أفكاري الخاصة.

لم يكن الأمر كله خطأ هيدآكي. كنت أعرف ذلك منذ البداية. كنت شريكة في اللوم على الطريقة التي انتهى بها كل شيء. كانت رعونيتي ونقص إرادتي جزءًا مما حدث.

لكنني كنت بحاجة فقط إلى أن أقول ما أشعر به، مهما كان. حتى لو أخبرني أحدهم أنني كنت أنانية، كان عليّ أن أشارك ما أفكر فيه. كنت أعاني لأنني كنت ضعيفة جدًا على القيام بذلك. ربما لم يصدق هيدآكي أبدًا أنه يتحمل أي مسؤولية، وشعر بالارتباك من ردة فعلي، لكنني كنت لا أزال بحاجة إلى التنفيس عما أشعر به تجاهه. إن لم أفعل، لما كنت قادرة على المضي قدمًا. مهما طال الزمن، كنت سأظل عالقة. لو لم يمنحني عمي هذه الفرصة، لكنت سأظل متمسكة بهذه المشاعر إلى الأبد.

دارت الكلمات في ذهني، محاولًة أن أعبر عن مدى امتناني لعمي. لكن لم يخرج شيء. في النهاية، لم أجد سوى كلمة واحدة فقط. لذلك قلتها له بصدق:

"شكرًا..."

ابتسم عمي وسحبني من كتفي ليقربني منه. مع شعوري بدفء جسده بجانبي، اجتاحتني موجة من الراحة من أعماقي.

كنت محمية. كان هناك شخص يهتم بي، يغضب من أجلي لأن ما حدث لي كان يعني له بقدر ما لو كان قد حدث له شخصيًا.

لفترة طويلة، كنت أشعر أنني وحيدة تمامًا في هذا العالم الكبير، لكن طوال الوقت كان هناك شخص قريب، يفكر بي، يعتني بي. جعلني ذلك أشعر بسعادة غامرة.

كانت سيارة الأجرة التي نستقلها تسير بصمت عبر المدينة الممطرة المتلألئة بأضواء النيون.

8

كان ذلك بعد ذلك مباشرةً عندما قررت مغادرة المتجر. بغض النظر عن مدى غرابة الأمر، فقد منحني هذا الحدث الدفعة التي كنت بحاجة إليها. اختفت كل مشاكلي، وشعرت بجسدي خفيفًا. أخيرًا، كنت مستعدة للرحيل.

عثرت على مكان جديد يمكنني العيش فيه ابتداءً من شهر مارس. كان بعيدًا إلى حد ما عن المتجر، لكنه كان أفضل ما يمكنني فعله. لا تزال لدي الكثير من التساؤلات حول ما سأفعله لاحقًا. ولكن في الوقت الحالي، حصلت على وظيفة بدوام جزئي في شركة تصميم صغيرة من خلال عملي السابق.

عندما أخبرت عمي أنني أنوي المغادرة، بدا متفاجئًا للغاية. "ليس عليك التسرع في اتخاذ أي قرارات"، قال بقلق.

لكنني كنت قد اتخذت قراري بالفعل.

"لقد استمتعت بهذه العطلة الصغيرة من حياتي لفترة طويلة بالفعل. إذا لم أخرج الآن لأبحث عن المكان الذي أنتمي إليه، فقد لا أجده أبدًا."

استمع إلي عمي، لكنه لم يقل شيئًا آخر.

في الشهر الذي سبق انتقالي إلى مكاني الجديد، استمتعت بآخر أيامي في مكتبة موريساكي. عملت بجد، وخصصت وقت فراغي لقراءة العديد من الكتب. ومن باب الامتنان، قمت بتنظيف عميق للمتجر والطابق الثاني. بل ورتبت بعناية مجموعة الكتب التي كانت مكدسة بشكل عشوائي في الغرفة الاحتياطية يوم وصولي.

أخبرت الزبائن الدائمين وكل من في مقهى سافور أنني سأغادر. كانوا جميعًا حزينين لرحيلي. لقد جعلني ذلك أبكي عندما اكتشفت كم كانوا يهتمون لأمري. حتى أن سابو قال مازحًا إنه يجب أن أتزوج ابنه وأصبح جزءًا من عائلته، وبدا جادًا بشأن ترتيب الأمر.

أقام تاكانو وتومو حفلة وداع صغيرة من أجلي. تجمعنا حول قدر ساخن في غرفتي في الطابق الثاني من المتجر واحتفلنا حتى وقت متأخر من الليل. أخبرتني تومو بمدى حزنها لأن صديقتها المحبة للكتب لن تكون موجودة بعد الآن. "في العام القادم"، قالت، "لنذهب إلى المهرجان معًا مرة أخرى، حسنًا؟"

في تلك الليلة، همس لي تاكانو بأنه قد اصطحب تومو إلى السينما في شيبويا في وقت سابق من اليوم. لم يبدُ أنهما أصبحا ثنائيًا بعد، ولكن بالنظر إلى نقطة البداية التي بدأ منها تاكانو، كان هذا تقدمًا كبيرًا. كنت سعيدة جدًا لسماع ذلك، لدرجة أنني قلت، "ليس سيئًا!" وصفعته على ظهره النحيف بأقصى قوة استطعت.

بعد ذلك، تواصلت معي مورانو، خطيبة هيديآكي، بشكل غير متوقع، واتفقنا على اللقاء في المقهى للحديث.

كان أكبر مخاوفي في تلك الليلة أننا انتهينا إلى معاملتها بفظاظة. ذهبت إلى المكان الذي اتفقنا عليه، وكنت أنوي تقديم اعتذاري الصادق، لكن بمجرد أن التقينا وجهًا لوجه، كانت هي من تنحني لتعتذر لي بعمق. أخبرتني أنها كانت تساورها الشكوك حول تصرفاته من قبل، ولكن بعد ظهوري غير المتوقع تلك الليلة، اتضحت الصورة لها تمامًا. استجوبته مرارًا وتكرارًا حتى اعترف أخيرًا. أخبرتني أنه حتى تلك الليلة، لم تكن لتخطر ببالها أبدًا أنني كنت المرأة الأخرى.

استمررت في الاعتذار لها بصدق. قلت: "أنا أيضًا أتحمل جزءًا من اللوم"، لكنها هزت رأسها. قالت إن الزفاف قد ألغي الآن. وعندما سمعت ذلك، هرعت للاعتذار مرة أخرى، لكنها قالت بحزم: "ليس خطؤكِ، تاكاكو."

ظل ذلك الشعور بالذنب يلازمني. وعندما أخبرت عمي في اليوم التالي بما حدث، قال: "إنها محقة. أليس من الأفضل اكتشاف الأمر الآن بدلاً من اكتشافه بعد الزواج عندما يكون الأوان قد فات؟" قد يكون عمي متحيزًا لأنه كان يكره هيديآكي، لكن عندما أدركت أنه محق، شعرت وكأن حملًا قد أزيح عن كاهلي.

قضيت مع عمي ليلتي الأخيرة في المتجر، نحتسي القهوة معًا على الشرفة في الطابق الثاني، نحدق في سماء الشتاء المظلمة.

أعطاني كومة ضخمة من الكتب القديمة لأتذكر بها أيامي في المكتبة. قال إنها جميعها كتب أثرت فيه بعمق عندما كان شابًا. وعندما ألقيت نظرة داخل الكيس الورقي الثقيل، وجدت أنه مليء بكتب لبعض الكتاب الجادين مثل تاكيهيكو فكوناغا وكازوؤ أوزاكي.

قضينا ليلتنا الأخيرة معًا ونحن نشعر براحة حقيقية مع بعضنا البعض. لن أنسى أبدًا ما قاله لي عمي في تلك الليلة.

قال لي أولًا وكأنه يمهد لشيء مهم: "هناك شيء واحد أريدكِ أن تعديني به." ثم تابع قائلًا: "لا تخافي من أن تحبي شخصًا ما. عندما تقعين في الحب، أريدكِ أن تحبي بكل كيانكِ. حتى لو انتهى الأمر بكسر القلب، لا تعيشي حياة خالية من الحب. كنت قلقًا جدًا من أن تتخلي عن فكرة الحب بسبب ما حدث لكِ. الحب شيء رائع. لا أريدكِ أن تنسي ذلك أبدًا. ذكريات الأشخاص الذين تحبينهم لا تختفي أبدًا. إنها تظل تدفئ قلبكِ ما دمتِ على قيد الحياة. عندما تكبرين، ستفهمين ذلك. ماذا تقولين؟ هل تعدينني بذلك؟"

فقلت له: "أفهم ذلك. أعدكِ." ثم أضفت: "أعتقد أن هذا المكان علّمني ذلك، لذا لا داعي لأن تقلق."

فقال لي مطمئنًا: "في هذه الحالة، ستكونين بخير، بغض النظر عن المكان الذي ستذهبين إليه."

"شكرًا لك، يا عمي."

في يوم رحيلي، وقفت تحت ضوء الصباح، أحدق في مكتبة موريساكي. يا له من مبنى صغير خشبي قديم. عشت هنا، فكرت في ذلك، لكن بالكاد استطعت تصديقه.

ظللت واقفة هناك لبعض الوقت، أنفاسي تتحول إلى بخار في الهواء البارد. كانت الشوارع مغمورة بضوء الصباح الناعم. لم يكن أي من المتاجر قد فتح أبوابه بعد، وكان كل شيء يبدو هادئًا بعمق وسكينة.

وقفت مستقيمة، واجهت المكتبة، وانحنيت بعمق. عاهدت نفسي ألا أنسى أبدًا ما منحتني إياه حياتي في المكتبة.

تكبد عمي عناء توديعي رغم أن الوقت كان مبكرًا. شكرته من أعماق قلبي.

لقد أصبح جزءًا مهمًا بشكل هائل من حياتي. من الغريب كيف سارت الأمور بهذه الطريقة، لم أكن لأتخيل أبدًا أن ينتهي بي المطاف بهذه المشاعر عندما وصلت هنا لأول مرة.

عندما ودعنا بعضنا، اختفت فجأة تلك الهيئة الرجولية التي أظهرها عمي في الليلة السابقة، وترك نفسه يبكي كطفل أمام الجميع.

قال وهو يمسك يدي بإحكام شديد لدرجة أنني ظننت أنه لن يتركني: "لا أستطيع تحمل ذلك. أرجوكِ لا تذهبي، تاكاكو."

ابتسمت له بلطف وقلت: "يمكنني العودة لرؤيتك في أي وقت." بدا الأمر غريبًا، لكنني الآن كنت أنا من يواسيه.

"اعتني بنفسكِ من أجلي، أليس كذلك؟ وسأعتني بالمكتبة، مهما حدث."

شعرت أنه إذا بقيت هناك ثانية أخرى، فسأفقد شجاعتي للرحيل. لذا، ودعت عمي بسرعة، الذي كان لا يزال يحاول التمسك بي، وسرت مبتعدة في الشارع.

واصلت المضي قدمًا، حتى وصلت إلى نهاية شارع ساكورا دون أن ألتفت للخلف. وبينما كنت أسير، بدأت الذكريات تتدفق إلى ذهني، وامتلأت عيناي بالدموع. لكنني تماسكت وسرت حتى نهاية الشارع.

ثم، بناءً على حدس مفاجئ، توقفت ونظرت خلفي. رأيت عمي واقفًا في منتصف الشارع يلوح لي، يبدو صغيرًا في المسافة. رؤيته بتلك الهيئة جعلتني غير قادرة على التحمل أكثر. انفجرت في البكاء وبدأت أجهش بالنحيب.

لوّحت له بيدي ووجهي متجعد من الدموع، التي انهمرت على وجنتي.

وبالمقابل، لوّح لي عمي بحماسة أكبر. رأيت ضوء الصباح يسطع خلفه.

صرخت قائلة: "اعتنِ بنفسك!" ثم استدرت، وسرت في زحام شارع ياسوكوني.

أولئك الذين مررت بجانبهم، وأنا أبكي بينما أتابع السير، لا بد أنهم ظنوا أن هناك خطبًا ما بي، أنني امرأة غريبة الأطوار. لكنني لم أكن أهتم على الإطلاق. بعد كل شيء، كنت أبكي لأنني أردت أن أبكي، وكانت هذه أسعد دموع عرفتها في حياتي.

في الهواء الصباحي البارد، شعرت بإشارة خافتة تدل على قدوم الربيع. نظرت إلى الأمام مباشرة، وواصلت المضي قدمًا.

الفصل الثاني

عودة موموكو

1

"تاكاكو! لقد مضى زمن طويل! أشعر وكأنني كنتُ بعيدة لمئة عام!"

هكذا استقبلتني عمتي موموكو عندما رأتني واقفة أمام مكتبة موريساكي. أطلقت ضحكة عالية، كان لصوتها وقع قوي، حتى إنني شعرت بأصدائه تتردد في أرجاء شارع المكتبات الضيق.

لقد كانت بالفعل هنا. عادت. والآن، وهي تقف أمامي، بدأت أخيرًا أصدّق أنها حقيقية. كان عمي ساتورو قد أخبرني بأنها عادت، لذلك كنت أعلم ذلك نظريًا. عقلي استوعب الفكرة، لكن قلبي بقي متشككًا. لم أستطع تصديق الأمر حتى رأيتها بعيني.

لو قال لي أحدهم إنه رأى شبحًا، لكان وقع المفاجأة أقل مما شعرت به.

لكن مومكو كانت هنا، تضحك، وتبدو في منتهى السعادة.

ما الذي جعلها مشرقة هكذا؟ هل هذه هي الطريقة التي يعود بها من اختفى لسنوات؟ أما عمي ساتورو، فكان واقفًا جانبًا، ملامحه مربكة كوجه كلب ابتلع شيئًا فاسدًا. ألم يكن من المفترض أن تنعكس الأدوار؟

"تبدين وكأنكِ رأيتِ شبحًا،" قالت ساخرة. "قاسٍ منكِ هذا التعبير." كنت صامتة تمامًا، لم أنطق بكلمة.

كادت تفلت من لساني جملة: "*لو كان شبحًا، لاندهشت أقل*" ، لكنني تمالكت نفسي وتمكنت فقط من القول:

"تبدين رائعة."

لقد مرّت أكثر من عشر سنوات منذ أن رأيتها آخر مرة.

حين كانت مومكو في شبابها، كانت جميلة بحق.

ليست جمالًا صاخبًا يلفت الأنظار، بل من ذلك النوع الهادئ الذي يظل عالقًا في الذاكرة. كحجر صغير على شاطئ البحر، لا يساوي شيئًا في السوق، لكنه يلمع بطريقة لا يمكنك تجاهلها.

حين كنتُ طفلة وأراها في تجمعات العائلة، كنت دائمًا مأخوذة بها – بطريقتها المهذبة في الجلوس، مطوية في الزاوية القصوى، كما لو كانت تحاول ألا تزعج أحدًا.

كانت مومكو صغيرة الحجم، لكن حضورها فيه شيء من الغموض... شيء يجذب دون أن يفسّر.

ورغم السنوات، كانت لا تزال تحتفظ بتلك الهالة.

ارتدت كنزة بنية وبنطال جينز، وضعت القليل فقط من المكياج، لكن وقفتها المستقيمة، وملامحها المتقدة بالحياة، وسرعة حديثها، كلها جعلتها تبدو وكأن الزمن لم يمسّها. بل بدا وكأنها قد تخلّصت من كل ما هو زائد، وبقي منها الجوهر فقط.

على أي حال، هذه المرأة التي كانت تعجّ بالحيوية لم تكن تبدو على الإطلاق كشخص فرّ بعيدًا وعاد فجأة. أما عمي، فقد بدا متقدّمًا في السن بشدة، مع وقفته المحدودة، وملابسه الرثة، وشعره الأشعث.

"تاكاكو، أنت تشبهين والدتك تمامًا"، قالت مومو كو، وهي تضيق عينيها وتنظر إليّ بتفحص. "في جنازة جدك، كنتِ لا تزالين في المدرسة الثانوية. يبدو الأمر وكأنه كان بالأمس فقط."

وهكذا، اجتمعنا مرة أخرى – أنا، والعم ساتورو، والعمّة مومو كو – في مساء خريفي صافٍ وواضح، أمام مكتبة موريساكي.

دخلنا المكتبة، ذلك المكان الذي أصبح مألوفًا لي خلال الأشهر الماضية، لكن الليلة كان مختلفًا. وجود مومو كو، بضحكتها المجلجلة وسلوكها الذي لا يعكس سنوات الغياب، جعل الجو أكثر حيوية.

"العم ساتورو لم يخبرني أنكِ كنتِ هنا، تاكاكو!" قالت مومو كو وهي تتجول بين الرفوف المكدسة بالكتب، تمرر أصابعها برفق على أغلفتها المغبرة. "لكن هذا يفسر لمَ بدا أكثر انشغالًا مؤخرًا."

"لم أكن أخفي الأمر عمداً"، قال عمي وهو يجلس خلف الطاولة، مشبكًا ذراعيه. "أنتِ لم تسألي."

"بالطبع، هذا يشبهك تمامًا!" ردت موموكو وهي تضحك، ثم استدارت إليّ وقالت، "كيف حالكِ إذن؟ هل تعجبك الحياة هنا؟"

ترددت لوهلة قبل أن أجيب. كيف يمكنني تلخيص كل شيء؟ كيف يمكنني أن أشرح لها كيف جئت إلى هنا محطمة القلب، وكيف أصبحت المكتبة ملجأ لي؟ كيف يمكنني أن أخبرها أنني وجدت هنا أكثر مما كنت أتوقع؟

"إنها... مريحة"، قلت أخيرًا، ولم أكن واثقة مما إذا كانت هذه الكلمة تعبر تمامًا عن مشاعري.

"هاه، مريحة؟ هذا كل شيء؟" رفعت حاجبها، لكن ابتسامتها كانت دافئة.

راقبتها وهي تتجول بحرية في المكتبة، تلتقط الكتب، تقرأ العناوين، أحيانًا تضحك وأحيانًا تغمغم بتأمل. بدا وكأنها كانت تحاول استعادة شيء فُقد منذ زمن بعيد.

وأخيرًا، توقفت عند الرف القريب من المدخل، وسحبت كتابًا قديمًا، قلبت صفحاته الصفراء، ثم قالت، "لا أصدق أن هذا الكتاب لا يزال هنا. كنت أقرأه عندما كنت صغيرة."

نظر العم ساتورو إليها وقال بجدية غير معتادة، "لقد احتفظت به من أجلكِ."

توقفت موموكو عن تقليب الصفحات، رفعت عينيها ببطء نحو عمي، وكأنها تحاول التأكد مما إذا كان يمزح أم لا. لكن نظراته الصادقة لم تدع مجالًا للشك.

"ساتورو..." تمتمت، وأغلقت الكتاب بلطف، ثم ابتسمت له بطريقة جعلتني أشعر وكأنها أخيرًا، بعد كل هذه السنوات، وجدت طريقها للعودة إلى المنزل.

في تلك اللحظة، أدركت أن هذه المكتبة لم تكن مجرد مكان يعجّ بالكتب القديمة. لقد كانت أكثر من ذلك بكثير. لقد كانت مكانًا يحمل الذكريات، والأسرار، والروابط التي لم تنقطع رغم المسافات والسنوات.

ربما، بطريقة ما، كانت هذه المكتبة هي التي جمعتنا جميعًا معًا في تلك الليلة الخريفية الصافية.

2

"لقد عادت."

قبل يومين، اتصل بي عمي. بدا مضطربًا. لقد مر عام ونصف منذ أن غادرت مكتبة موريساكي.

بعد أن انتهت إجازتي الطويلة، بدأت العمل في شركة تصميم صغيرة. قبل ثلاثة أشهر، تمت ترقيتي من دوام جزئي إلى دوام كامل، مما جعل أيامي أكثر انشغالًا بعض الشيء، لذلك مضى شهران منذ آخر مرة زرت فيها عمي.

عندما اتصل بي، افترضت أنه يريد فقط أن يطلب مني المجيء لرؤيته. لكن سماع مدى اضطرابه جعلني أدرك أن شيئًا كبيرًا قد حدث.

عبر الهاتف، وصف لي الوضع بتفاصيل كثيرة لدرجة أنني بدأت أفقد صبري. ولتلخيص محادثتنا التي استمرت ساعتين، هذا ما حدث:

في ذلك اليوم، كان عمي يعمل في متجره في جيمبوتشو منذ الصباح وحتى المساء، كالمعتاد. خلال الغداء، باع بعض المجلدات النادرة لأوجاي موري وساكونوسوكي أودا، وكانت حصيلة اليوم جيدة جدًا، مما جعله في مزاج رائع مع بداية المساء.

كان يهم بالإغلاق وهو يصفر بلحنٍ ما عندما سمع شخصًا يفتح الباب الأمامي بهدوء ويدخل.

ظن في البداية، "أوه، زبون في هذه الساعة؟" لكنه كان مستديرًا بظهره إلى الباب وكان يركز على إنهاء العمل لليوم. لكن الزبون لم يتقدم أكثر إلى الداخل. كان واقفًا فقط أمام الباب، كما لو كان يحبس أنفاسه. كم كان هذا غريبًا. بدأ عمي يشعر بالريبة، ثم سمع الزبون يتمتم بشيء ما. كان سماع ذلك الصوت بمثابة صدمة له، وكأنه تلقى ضربة على رأسه عشرات المرات.

في البداية، ظن أنه لا بد أن يكون مخطئًا، لكنه كان يعلم أن ذلك لم يكن ممكنًا. كان من المستحيل ألا يتعرف على ذلك الصوت—كما لو كان من المستحيل حشر مئة شخص داخل مكتبة موريساكي الصغيرة.

بينما كان لا يزال مجمدًا في مكانه بظهره للزبون، غير قادر على الحركة، أعاد الزبون ما قاله بصوت أكثر وضوحًا، "ساتورو..."

التقط أنفاسه بعمق وأدار رأسه أخيرًا ليرى صاحب ذلك الصوت. فجأة، تلاشى المشهد المألوف للمتجر في الخلفية، وهناك، في مركز رؤيته، كانت تقف شخصية واحدة: زوجته، التي غادرت قبل خمس سنوات دون كلمة واحدة حتى هذه اللحظة. لم يستطع أن يشيح بنظره عنها. شعر وكأنه يحلم. كان قد حلم بهذا الموقف مئات المرات من قبل. لكن في تلك الأحلام، لم تكن زوجته تبدو بهذه الواقعية. كانت بالتأكيد موموكو، تقف هناك، تبدو تمامًا كما كانت قبل أن ترحل.

بعد صمتٍ طويل، ابتسمت موموكو ابتسامة هادئة وقالت:

"لقد عدتُ إلى المنزل."

قالتها وكأنها عادت للتو من نزهة قصيرة، لا أكثر. كل ما كانت تحمله هو حقيبة صغيرة في يدها.

ظل عمي ينظر إليها طويلًا قبل أن يرد أخيرًا: "مرحبًا بعودتك."

ومن دون أن تضيف شيئًا، صعدت موموكو بهدوء إلى الغرفة في الطابق الثاني. ومنذ تلك اللحظة، بدأت تعيش هناك...

"انتظر، انتظر، لحظة!"

كنتُ أستمع لعمي عبر الهاتف بصبر، لكن عند تلك النقطة، تجاوز حدود احتمالي.

"ماذا؟ ما كل هذا 'لقد عدت' و'مرحبًا بعودتك'؟! ماذا تعني بأنها انتقلت للعيش هناك؟ الأمر برمّته يبدو كقصة أشباح!"

رد عمي بإخلاص:

"لكن الأمر حقيقي، يا تاكاكو."

"إن كان كذلك، فأنتم بالفعل أغرب شخصين على وجه الأرض! لماذا عادت موموكو فجأة؟ ولماذا استقبلتها بهذه البساطة؟ ألا يفترض بك أن تكون على الأقل غاضبًا؟"

بدا عمي مذهولًا مما قاله:

"لا أفهم الأمر بنفسي... كل ما في الأمر أنه حدث بشكل طبيعي تمامًا."

شعرتُ بالعجز عن الرد. أعلم أن عمي رجل غير تقليدي، لكن تصرّفاتهما معًا لم تكن منطقية أبدًا.

"وهل قالت لك أي شيء؟" سألته بنبرة جادة.

"لا أعلم... من الصعب قليلًا أن أسألها عن ذلك."

"إذًا، لماذا لا تصطحبها إلى منزلكما في كونيتاتشي وتتحدث إليها هناك، كما يفعل الناس العاديون؟"

"هي لا تحب ذلك المنزل. تقول إنه لا يريحها. تفضّل العيش في الطابق الثاني من المكتبة. تاكاكو، صدقيني، لا فكرة لدي عن كيفية تفكير النساء. لماذا برأيك عادت؟"

كان صوته في الطرف الآخر من الخط مفعمًا بالحيرة.

أجبته ببرود: "كيف لي أن أعرف؟ إنها زوجتك. ألم يفترض أن تكون أنت من يعرفها أكثر من أي شخص؟"

قال بعد تنهيدة:

"كنت أظن أنني أعرفها جيدًا... لكن الأمور أصبحت ضبابية. أنا كمن يتحسس طريقه في الظلام. أنتِ فتاة، لا بد أن بينكن نوعًا من التفاهم الفطري، أليس كذلك؟"

"نعم، أنا امرأة، لكنها ومضة من نوع آخر تمامًا، صدقني."

ساد صمت طويل من طرفه، ثم قال بصوت خافت:

"تاكاكو... هل تعتقدين أنها... ستغادر مرة أخرى؟"

نبرة القلق في صوته جعلت قلبي ينقبض.

تذكرت تمامًا كيف بدا في تلك الليلة عندما سألته عن مومو‌كو، وهو يسير وحيدًا ببطء في الشارع، وجهه مطفأ، صامت، غارق في الحزن.

كان لا يزال يحبها. مهما حدث، لا يزال يتألّم. لم أكن لأتحمّل أن أراه بهذا الشكل من جديد، إن كان في استطاعتي أن أفعل شيئًا.

"هل تريد منها أن تبقى؟"

قال بعد لحظة: "لست متأكدًا... في الماضي، كنت أظن أن سعادتها، في أي مكان، هي كل ما يهمني. لكن بعد أن عادت، بدأت أشعر بشيء مختلف. لا أريدها أن تكون تعيسة، هذا أكيد... لكن... آه، أنا شخص فظيع."

رائع. لن نصل إلى نتيجة بهذه الطريقة.

تنهدت وسألته مباشرة: "إذًا، ما الذي أردت أن تسألني عنه؟"

"هاه؟ كيف عرفتِ أنني كنت أريد سؤالك عن شيء؟"

"أعرفك. كم من الوقت عشنا معًا؟"

ضحك وقال بمرح مفاجئ:

"آه، تاكاكو، لا توجد ابنة أخت أروع منك في هذا العالم. أنا مدين لكِ."

لم يكن هذا ما كنتُ أتوقعه، لكن ما أراده عمي كان واضحًا: أن أعرف ما الذي يدور في ذهن موموكو. لماذا عادت الآن؟ وماذا تنوي أن تفعل لاحقًا؟

قال إن كل ما تركته خلفها حين غادرت قبل خمس سنوات كان مذكرة قصيرة من سطرين: *"أنا بخير. من فضلك، لا تبحث عني."*

لم تأخذ معها أي حقائب. لم تترك أي تلميحات. لم يكن لديه أدنى فكرة عن سبب رحيلها، ولا أي توقع بعودتها. وبعد الكثير من الحيرة، قرر أن يحترم رغبتها كما كتبتها، ولم يبحث عنها. لم يبلغ الشرطة. لم يخبر أحدًا.

"لم يُقدّر لنا أن نُنجب أطفالًا،" قال.

"لكنها كانت معجبة بكِ، يا تاكاكو. لهذا أظن أنكِ الوحيدة التي قد تتحدث إليها." وقبل أن يغلق الخط، قال: "شكرًا مقدمًا."

معجبة بي؟

لكننا بالكاد تحدثنا في حياتنا! لم أصدق ذلك تمامًا، ومعرفتي بطبع موموكو جعلتني أتوقع أنها ستنزعج إن حاولت التدخل في حياتها.

لكن توسلات عمي كسرت قلبي.

لم أتمكن من قول لا.

في النهاية، كنت أدين له بكل شيء.

3

قالت مومو‌كو بابتسامة عريضة: "لنَدخُل. لدينا الكثير لنتحدث عنه."

بتشجيع منها، تخلّينا أخيرًا عن وقفتنا أمام المتجر، ودخلنا. لم تطأ قدماي هذا المكان منذ شهرين. وكما كان دائمًا، كان المتجر يعجّ بالكتب. الأرضية الخشبية تصدر صريرًا تحت الخطى، والغبار يطفو في الهواء بين خيوط ضوء الغروب المتسلّلة من النوافذ. أخذت نفسًا عميقًا، وملأت رئتيّ بذلك العطر المألوف.

رائحة الكتب القديمة...

تذكّرت المرة الأولى التي دخلت فيها إلى هنا، وتذكّرت كيف ضحك عمي بحرج عندما عبست وقلت: "رائحته كالعفن."

من الغريب أنني الآن لا أكتفي منها. أصبحت أحبّ هذه الرائحة، بكل ما فيها من قِدم ودفء.

جلسنا نحن الثلاثة حول الطاولة، نتناول كعكات التاييا‌كي الحلوة التي اشتراها عمي كهدية صغيرة.

دخل بعض الزبائن أثناء جلوسنا هناك، وبدا عليهم بعض الاستغراب لرؤيتنا متجمعين مثل فئران الزاوية، لكنهم اشتروا كتبهم على أي حال.

تولّت موموكو التعامل مع الزبائن بدلًا عن عمي، تتحدث معهم بوجه بشوش ونبرة لطيفة.

بعد سنواتٍ من حياتها كزوجة بائع كتب، كانت لا تزال تجيد الأمر بطلاقة.

منذ دخولنا، تولّت موموكو دفة الحديث، وظلت تتنقّل بين المواضيع كأنها طائرة تائهة وسط دوّامة هوائية: "تاكاكو، عشتِ هنا مرة؟ تمامًا كما أفعل الآن، أليس كذلك؟

المكيف لا يعمل نهائيًا، لا بد أنه كان الجو خانقًا في الصيف!

آه، الحشوة في هذه التاييياكي لذيذة... من أين أحضرتها؟

الحي تغيّر كثيرًا عن الماضي. صار فيه متاجر راقية أكثر...

آه، مجرد قولي 'راقية' يجعلني أشعر وكأنني أصبحت في منتصف العمر، أليس كذلك؟" وبينما كانت تتنقل بين المواضيع، كانت تمدّ يدها من حين لآخر لتقرص خد عمي. كرّرت ذلك مرات عديدة حتى احمرّ خداه تمامًا.

في النهاية، لم أتمالك نفسي وسألتها:

"أمم، لماذا كنتِ تقرصين خده؟"

نظرت إليّ بدهشة وقالت:

"هل كنتُ أفعل؟"

"بلى، فعلتِ."

ضحكت وقالت ببساطة: "إنها عادة قديمة عندي... أقرص الناس عندما أشعر بالقرب منهم. أعتقد أنها طريقتي الخاصة في إظهار المودة. لكن، ألم يكن وجه ساتورو لطيفًا وهو يُقرَص؟"

قالتها، ثم قرصته مجددًا بقوة، وحرّكت خديه صعودًا وهبوطًا، يمنةً ويسرة، وكأنها تعاقبه في لعبة أطفال.

كان وجه عمي يبدو في تلك اللحظة بائسًا بحق. لم يكن الأمر مضحكًا أبدًا.

صرخ عمي: "توقفي..." لكنّه لم يحاول ردعها. كان مستسلِمًا، ونبرة صوته المتعبة فضحت استسلامه الكامل. ما إن رأت ذلك، حتى انفجرت موموكو بالضحك، ضحكة طويلة صافية، ثم تركته أخيرًا.

كان من الواضح أن لموموكو جانبًا خفيًا من السادية!

قال عمي بوجه متجهم: "ألا تشعرين بالإحراج من فعل هذا أمام تاكاكو؟"

ردّت موموكو ببساطة: "ما المشكلة؟ إنها ليست غريبة. إنها ابنة أختنا."

تمتم عمي: "نحن بالغون... ماذا عن كرامتنا؟"

"منذ متى أصبح لديك كرامة؟" قالتها بسخرية ناعمة.

حينها، راودتني فكرة غريبة... لو اقتربت منها أكثر، هل سيصيبني القرص أيضًا؟ شعرت بقشعريرة باردة تسري في ظهري. ثم، كما لو أنها قفزت إلى بعدٍ جديد، أمسكت بكلتا يديّ فجأة، ونظرت إليّ بعينين لامعتين.

"أنا سعيدة جدًا برؤيتك، حقًا. كنت أفكر فيكِ أحيانًا، هل تعلمين؟ كنت أتساءل، ما الذي حدث لابنة أختي الصغيرة؟ كنتِ دائمًا تبدين لي شابة لطيفة، هادئة، رزينة. وشعركِ القصير المصفف بشكل *pageboy* كان يليق بكِ جدًا!"

ارتبكتُ.

"هكذا كنتِ تريننني؟ لم أكن كذلك أبدًا." في الحقيقة، كنتُ حينها في ذروة سنوات المراهقة المربكة... غارقة في الإحباطات والمشاعر التي لم أكن أعرف كيف أتعامل معها أو أشاركها مع أحد. كنتُ أتألم. ولا يمكنني أن أصدّق أن أحدًا رآني بشكل مختلف تمامًا. السبب الوحيد الذي جعلني أبدو مهذّبة في لقاءات العائلة هو خوفي من لفت الانتباه. كنت أحاول الاختفاء، لا التألق.

يا لها من مفارقة...

"انطباعات الناس نادرًا ما تكون دقيقة، أليس كذلك؟"

راودتني هذه الفكرة بينما كانت موموكو تحدّق فيّ بذلك البريق الطفولي المشاكس في عينيها. لقد أخطأتُ كثيرًا في الحكم على عمي كذلك. وفي النهاية، لا يهم كم من الوقت أمضيته مع أحد أو إن كنتَ تربطك به صلة دم؛

ما لم تتقابلا وجهًا لوجه، حقًا، فلن تعرفه أبدًا. كان الأمر كذلك مع هيدآكي أيضًا. وكلما فكّرت في ذلك، شعرت بأنني مسؤولة بدرجة ما عن كل ما حدث. عدتُ من جديد إلى تأمل كل شيء.

"إذن، عمتي موموكو، أفترض أن صورتي القديمة عنكِ كانت جميلة أيضًا؟" علّقتُ بسخرية طفيفة، لكن موموكو ضحكت بصوت عالٍ وكأنها لم تمانع ذلك أبدًا.

"حسنًا، في كل تلك التجمعات العائلية، كنت ألعب دور الفتاة المهذبة. ألا تعتقدين أن الكثير من أفراد العائلة متحجرون بعض الشيء؟ حماي كان بالتأكيد واحدًا منهم. تعابير وجهه لم تتغير أبدًا، كنتِ ستظنين أنه يرتدي قناع نوه طوال الوقت. بالإضافة إلى أننا هربنا وعدنا متزوجين، لذا كانت التجمعات العائلية لا تُطاق. عندما كنا نحضر، كان الجميع يشعرون بالتوتر الشديد. لهذا كنت دائمًا أجلس في الزاوية، محاوِلةً ألا يلاحظني أحد."

"إذن هذا ما حدث. ورغم ذلك، تزوجتما؟"

"حسنًا، كنا نعيش معًا في ذلك الوقت، لذا كانوا لا يزالون ينظرون إلينا بعين الريبة. التقينا في باريس ووقعنا في الحب، وبمجرد أن عدنا إلى اليابان، أضافوا اسمي إلى سجل العائلة. أعتقد أننا انجرفنا مع التيار فحسب."

"با-باريس؟" صرختُ بدهشة. "لماذا باريس؟"

"ألم تكوني تعرفين؟ كنت أعيش في باريس حينها. كان يسافر بطريقة اقتصادية، وكنا نصطدم ببعضنا أحيانًا في أكشاك الكتب المستعملة في السوق. قد تعتقدين أن شخصًا من عائلة تمتلك متجر كتب مستعملة لن يحتاج للذهاب إلى متاجر الكتب أثناء سفره. لكن ليس هذا الرجل. كان يمتلك لحية كثيفة ويرتدي ملابس رثة، لذا كان يبدو كمتشرد."

"بهذه الطريقة لن يصبح هدفًا للنشالين واللصوص"، حاول عمي أن يشرح، لكن مومكو لم تعره أي انتباه.

"لكن بمجرد أن بدأت الحديث معه، اكتشفت أنه شخص مثير للاهتمام حقًا. ربما كان غريب الأطوار بعض الشيء، ولم يكن متأكدًا مما يريد فعله بنفسه. كان من النوع الذي يحتاج إلى من يعتني به. ثم انتهى بي الأمر بالتفكير في قضاء بعض الوقت معه قليلًا..."

"حقًا؟"

في مرحلة ما، بدأت ألتقط خيوط حديث مومكو السريع. التقى الاثنان بينما كان عمي يتعامل مع مشاكله عبر السفر حول العالم. باريس، رغم كل شيء، كانت رومانسية. لكن ما لم أستطع فهمه تمامًا هو سبب وجود مومكو هناك. حاولتُ أن أسألها، لكنها اكتفت بالقول: "أوه، كنت صغيرة، كما تعلمين"، وبذلت كل جهدها لتجنب السؤال.

هذه المرأة مليئة بالأسرار، فكرتُ في نفسي.

"على أي حال، هكذا التقينا. عدنا إلى اليابان، تزوجنا، والجميع تعامل معنا ببرود، لكن عندما مرض والده، قرر ساتورو أن يتولى الأمر بدلاً منه. بعد ذلك، عملنا جاهدين معًا لنثبت لهم جميعًا أنهم كانوا مخطئين."

"لم يخطر ببالي أبدًا أنني كنت أحاول إثبات شيء لهم،" قاطعها عمي.

"كاذب! كنت تحمل الكثير من المشاكل مع والدك! أدركتُ ذلك بسهولة."

لم يقل عمي أي شيء. فقط جلس هناك، متجهّمًا. كانت زوجته، لكنه لم يكن يبدو وكأنه نِدّ لها. كانت هذه أول مرة أراه بهذا الشكل؛ كان المشهد مضحكًا جدًا لدرجة أنني كدت أنفجر ضاحكًا عدة مرات.

ومع ذلك، إذا نظر المرء إلى الأمر بموضوعية، فسيبدو أنهما كانا زوجين سعيدين حقًا. بقدر ما يبدو هذا غريبًا، شعرتُ حتى ببعض الغيرة من علاقتهما. الألفة بينهما جعلتهما يبدوان أقل كزوجين وأكثر كصديقين قديمين أو رفيقين، مما جعلني أشعر براحة أكبر.

بعد فترة، غادر عمي متذمرًا بحجة أن المتجر كان مشغولًا، وجذبتني موموكو إلى الطابق الثاني حيث غرفتها. اقتربت مني فجأة وكأنها على وشك أن تبوح لي بسر.

"لهذا السبب أريد أن نصبح صديقتين، تاكاكو."

أمسكت بيدي وثبتت نظرتها عليّ مرة أخرى. كانت يداها صغيرتين جدًا، فكرتُ بأنها تشبه يدي طفل.

"ليس من العدل أن تكوني قريبة من ساتورو فقط. أريد أن نكون قريبين أنا وأنت أيضًا. هل يعجبك ذلك؟"

"آه... نعم..." أومأتُ لها، لكن في رأسي كنتُ أتمتم في تذمر، *هذا لن يكون سهلًا*.

4

عندما حلّ الليل، قاومتُ محاولات مومو كو لإبقائي لفترة أطول، ودّعتها وغادرتُ متجر الكتب.

تجولتُ عبر الأزقة الضيقة في طريقي إلى محطة القطار. كان الليل باردًا، مع نسيم خفيف في الهواء. وبينما كنت أمشي تحت أضواء الشوارع، بدت الظلال التي ألقيها على الإسفلت تطول أكثر فأكثر.

عندما وصلتُ إلى مقهى *سافور*، توقفت قدماي من تلقاء نفسي. كان ضوء اللافتة البرتقالي يلمع في الشارع المهجور ليلاً، وكأنني كلب بافلوف، أثار بداخلي رغبة مفاجئة لشرب القهوة. نظرتُ إلى ساعتي، كان الوقت قد تجاوز الثامنة بقليل. فتحتُ الباب، كان الأمر أشبه بشيء يجذبني إلى الداخل.

كان المقهى ينبض بالحياة كعادته، حتى في هذا الوقت المتأخر من الليل. من المدخل، استطعت سماع صوت البيانو الناعم ممزوجًا بأحاديث الزبائن الحيوية.

عندها لاحظتُ شخصًا مألوفًا جالسًا عند الطاولة. رأيتُ ذلك الجسد القصير الممتلئ والرأس الأصلع اللامع من الخلف، ولم يكن بإمكاني إلا أن أعرف أنه سابو. كان غارقًا في حديث مع صاحب المقهى حول أمرٍ ما. عندما لاحظني، لوّح لي ودعاني للجلوس بجانبه.

رحب بي صاحب المقهى بابتسامته المعتادة وأنا أجلس بجوار سابو.
"تاكاكو، من الجيد رؤيتك مجددًا."

كنتُ على وشك أن أبتسم له، لكن سابو قاطعني قائلًا:
"تاكاكو، عليك أن تبتسمي أكثر. حاولي أن تكوني أكثر ودّية. لهذا السبب لستِ محبوبة بين الرجال."

أخبرته أن ذلك ليس من شأنه.

ضحك سابو وكأنه وجد الأمر مضحكًا. "لكنّكِ أتيتِ في الوقت المناسب"، قال: "كنا نتحدث عنكِ للتو. موموكو عادت، صحيح؟ ساتورو يتصرف وكأن الأمر عادي—لماذا لم يخبرني بذلك؟" كان الفضول واضحًا في صوته.

"سابو، لا تتدخل كثيرًا"، قال صاحب المقهى بتوبيخ خفيف.

"لماذا؟ ما المشكلة؟ ثم إنك أنت من أخبرني عن الأمر، صحيح؟ قلتَ إن موموكو قد عادت"، قال سابو، متظاهرًا بالحزن. لا يوجد شيء مضحك أكثر من رجل عجوز يتظاهر بالحزن. الشيء الوحيد الظريف في *سافور* كانت صديقتي *تومو*، التي اعتادت العمل هنا بدوام جزئي. لكنها أنهت دراستها العليا وحصلت على وظيفة، لذا لم تعد تعمل في المقهى. لكن مما سمعته، كانت لا تزال تحافظ على صداقتها مع *تاكانو*.

ظل سابو يشكو بينما وضع صاحب المقهى قهوتي أمامي بلطف.

"البارحة، دخل سابو إلى هنا، وأنا تسرّبت مني المعلومة"، قال صاحب المقهى بأسف، لكن عينيه عكستا فضوله لمعرفة المزيد.

"أنتما الاثنان كنتما تعرفان موموكو من قبل، صحيح؟"

"بالطبع. منذ كم سنة برأيك وأنا أتجول في هذا الحي؟" قال سابو، بصوت بدا وكأنه يشعر بالفخر بنفسه.

"السيد موريساكي كان متزوجًا من قبل؟ هذا لا يتناسب مع الصورة التي في ذهني عنه." في تلك اللحظة، خرج تاكانو من المطبخ حاملًا أطباقًا ومناشف في كلتا يديه، وانضم إلى المحادثة بحماس.

"بالضبط"، قال سابو. "أنت لم تكن تعلم. إنه أرمل مخضرم، أليس كذلك؟ لكن عندما كان صغيرًا، اعتاد هو وموموكو أن يتبادلا القبل أمام الجميع. كان مشهدًا حقيقيًا، أليس كذلك؟"

قال صاحب المقهى: "ربما هناك بعض من ذلك، أظن. على أي حال، لا تزال موموكو جميلة، أليس كذلك؟ عندما دخلت، قالت: كم يسعدني أن أشرب قهوتي هنا بعد كل هذا الوقت. بدت وكأنها في حالة جيدة حقًا."

رد سابو بسخرية: "أوه، أنت رقيق جدًا. هي فقط أرادت أن تُجاملَك. لو سألتني، فإن شخصًا يعود فجأة بعد أن كان مفقودًا لسنوات، من الأفضل أن يكون لديه أكثر من مجرد بعض الكلمات الجميلة.

ساتورو كان عليه أن يفرّ هاربًا منها فورًا. لو كانت زوجتي هي التي فعلت ذلك، لكنتُ أطحتُ بها أرضًا."

كان سابو يتكلم بانفعال حتى أنه بدأ يحمر وجهه مثل الأخطبوط من شدّة الحماس.

قال له صاحب المقهى بنبرة حازمة: "تمهّل يا سابو. تبدو عدوانيًا جدًا. لكن كلما حاولت زوجتك التخلص من بعض الكتب، أليس أنت من يتوسل إليها باكيًا؟"

عند سماع هذا، انفجر كلٌّ من *تاكانو* وأنا ضاحكين.

صرخ سابو غاضبًا: "هيه، كفاكما ضحكًا! ما المضحك يا تاكانو؟ عد فورًا إلى العمل!"

اعتذر تاكانو وهو يهرب نحو المطبخ بسرعة، بينما ألقى عليه سابو منشفة.

تنهّد صاحب المقهى قائلاً: "إذا كنت غاضبًا، لا تُخرج ذلك على موظفيّ." كان يبدو مستاءً.

سأله سابو: "أليس أنت من يتنمر عليه دائمًا؟"

أجاب صاحب المقهى بجدية: "أنا أفعل ذلك بدافع الحب. الحب، بينما الشعور الذي تلهمك به زوجتك هو... الخوف."

غمغم سابو بسخط: "لطالما كنت وغدًا حقيقيًا، أليس كذلك؟ حسنًا، أنا غاضب. مستاء. حسنًا، ماذا عن بعض الكلمات الصارمة التي سأوجهها لوموكو من أجل ساتورو؟ نحن نعلم جميعًا أن ذلك الأبله لن يكون قادرًا على قول أي شيء."

رد عليه صاحب المقهى بحدة: "مهلًا، توقف عن التدخل في شؤون الآخرين."

هذا الحي بالتأكيد مليء بالمجانين. جعلتني الفكرة أبتسم، لكن عندها التفت إليّ سابو قائلاً: "تاكاكو، توقفي عن التبسم هناك وحدك. إنه أمر مزعج."

بعد ذلك بلحظات، وقع تطوّر صغير آخر في مقهى "سافور."

قرابة الساعة التاسعة، توقّف سابو عن إثارة الضجة وغادر إلى منزله—على الأرجح لأن زوجته كانت ستوبّخه لو تأخر أكثر.

فانتقلتُ أنا إلى طاولة صغيرة لأجلس، ومع تقدّم الليل، بدأت الأصوات تخفت، ولم يبقَ في المكان سوى عدد قليل من الزبائن. طلبتُ فنجان قهوة آخر، وأخرجتُ كتابي وفتحته عند الصفحة التي توقفت عندها.

عندها، لاحظتُ شيئًا. رجل يجلس بالقرب من النافذة، بدا لي مألوفًا على نحو غريب. شاب نحيل، في أواخر العشرينيات، يرتدي قميصًا أزرق باهت وبنطالًا رماديًا. لم يكن لافتًا للنظر، لكن فيه أناقة هادئة ملفتة.

كان شاردًا، يحدق عبر النافذة، بينما استلقى كتاب ذو غلاف ورقي مقلوب على الطاولة أمامه. بدا وكأنه ينتظر أحدًا.

من يكون؟

كنت أحدّق فيه، أحاول التذكّر، وفجأة استدار نحوي وكأنه شعر بعيوني تراقبه. حين التقت نظراتنا، بدونا نحن الاثنان متفاجئين.

نظر إليّ، ثم إلى الكتاب بين يدي، ثم عاد ببصره إليّ مرة أخرى، كأنما يقارن بين ما يرى، ثم أومأ بصمت وكأنه أدرك شيئًا، وقال بهدوء:

"مرحبًا." وفور أن سمعت صوته، عرفت من يكون. كيف نسيت؟ لقد كان من الزبائن الذين تعاملنا معهم مرارًا في مكتبة موريساكي. في وسط طوفان الزبائن غريبي الأطوار الذين مرّوا علينا، ربما لم يكن الأكثر بروزًا، لكنه كان موجودًا.

صحيح أن سابو كان الأكثر إثارة، أما هذا الشاب، فكان هادئًا ومنعزلًا بعض الشيء. ولهذا، على ما يبدو، لم يعلق في ذاكرتي فورًا.

تلعثمتُ قليلًا وأنا أحيّيه، خجلة من أنني كنت أحدّق به علنًا.

قلت على الفور: "سُررت بلقائك مجددًا. لقد مضى وقت طويل."

ابتسم وقال: "أوه، لا حاجة لأن نكون رسميين إلى هذا الحد."

كانت ابتسامته دافئة، تبعث على الراحة.

في تلك اللحظة، وصلت النادلة إلى طاولتي، تحمل صينية عليها فنجان قهوتي. ترددت، واقفة بيننا، وكأنها لا تعرف إلى أين تضع الفنجان.

لاحظ ذلك، فتردد قليلًا، ثم قال لي بلطف:

مكتبة
t.me/soramnqraa

"هل ترغبين في الجلوس هنا؟"

سألته بتردد: "هل كنت تنتظر أحدًا؟"

أجاب بهدوء: "ليس في الوقت الحالي."

عندها، ابتسمت النادلة بارتياح، وقالت: "رائع، في هذه الحالة، هذا مقعدك"، ثم وضعت القهوة أمامه.

قلت، وأنا أتحرّك باتجاه المقعد المقابل له: "أعتقد أنني سأجلس هنا إذًا."

في مثل هذه المواقف، كنت أميل للانقياد دون تفكير. قد يكون قد دعاني للجلوس مجاملة، لا بدافع الرغبة في الحديث. والآن وجدتُ نفسي أقتحم لحظة هدوءه. ما

إن خطرت لي هذه الفكرة حتى شعرت بأن عليّ الاعتذار. جلست في مكاني الجديد، فقالت النادلة بلطف إن بإمكاننا أخذ وقتنا كما نشاء، ثم انسحبت. تابعناها بنظرنا حتى ابتعدت، ثم التفتنا إلى بعضنا البعض مجددًا.

صمت.

الجو كان مشحونًا بالارتباك. تململتُ قليلًا في مقعدي، ثم لاحظت أنه بدأ يضحك بخفوت. نظرت إليه مستغربة، فقال وهو لا يزال يضحك: "آسف... لكن أليس هذا الموقف أشبه بلقاء زواج مرتّب؟"

ضحكته الطفولية ووجهه المشرق جعلا الضحكة تفلت مني أيضًا.

ثم تنحنح وقال: "لم نتبادل التعارف رسميًا من قبل، صحيح؟ اسمي أكيرا، أكيرا وادا."

ثم أخبرني أنه يعمل في دار نشر قريبة، متخصصة في الكتب التعليمية ومواد التدريس.

عندما قدّمتُ نفسي، قال بحماس: "آه، هذا صحيح، تاكاكو! أتذكّر أن صاحب المكتبة النشيط كان يصرخ دومًا: 'تاكاكو! تاكاكو!' بصوت عالٍ."

أخذ يهز رأسه ضاحكًا، مرارًا وتكرارًا، كمن استعاد ذكرى طريفة.

شعرتُ بالإحراج، فتمتمت: "آه... ذلك عمي."

قال وادا بدهشة، ونبرة خفيفة من الغِيرة في صوته: "حقًا؟ لا بد أن الأمر مذهل أن يكون لك قريب يملك مكتبة! لكنكِ لم تعودي تعملين هناك، أليس كذلك؟"

"نعم، لسبب ما، انتهى بي المطاف بالبقاء هناك لبعض الوقت، والعمل مقابل السكن والطعام. أعتقد أنه يمكنني القول إنني كنت هناك لأُعيد شحن طاقتي."

رفع حاجبيه باهتمام وقال: "إعادة شحن طاقتك؟ في مكتبة؟"

"نعم."

قال بابتسامة مدهوشة: "أحببتُ هذا التعبير، إعادة شحن طاقتك... لكن أن تفعلي ذلك في مكتبة كتب مستعملة؟ يا له من ترف نادر. أنا أغار منكِ حقًا."

ثم انطلق في حديث حماسي عن كيف أنه، لو كان في مكاني، لما غادر المكتبة أبدًا، ولظل يعيد شحن طاقته هناك إلى الأبد.

كان من الواضح أن فكرة العيش في مكتبة مستعملة قد حرّكت فيه شيئًا، وراح يتحوّل تدريجيًا إلى شخص مرح على نحو غير متوقع.

قلت له: "أوه، كيف حال صديقتك؟ كنت أراكما كثيرًا معًا."

كان لا يزال منغمسًا في حماسه تجاه فكرة الحياة داخل مكتبة، حين تذكّرتُ أمرها. لقد كان وادا يأتي إلى المكتبة بمفرده في أغلب الأوقات، لكن أحيانًا كانت ترافقه فتاة. طويلة، نحيلة، تشبهه في الملامح والنبرة. كانا يبدوان منسجمين، رغم أنها لم تكن مهتمة بالكتب كثيرًا. بينما هو يحدّق في العناوين باهتمام بالغ، كانت تقف جانبًا، تنظر إلى الأفق بشرود وملل. وعندما ينفد صبرها، كانت تتنهد وتقول له بتذمر: "هل انتهيتَ؟"

فيجيبها على الفور، معتذرًا: "دقيقة واحدة فقط!"

كان سابو يقول دائمًا: "الذهاب إلى مكتبة كتب مستعملة كثنائي أمر لا معنى له." لكنني كنت أجد الجدال البسيط بينهما لطيفًا، ويشير إلى عمق العلاقة بينهما.

خفض وادا صوته وقال:

"آه، أذكر تلك الأيام."

ثم أضاف، بصوت جاف مائل للمرارة: "للأسف... لقد تخلّت عني."

وانعكست في عينيه لمعة حزينة لم أستطع تجاهلها.

قلتُ على الفور، متلعثمة: "أنا آسفة!" شعرت كأنني ارتكبت خطأً فادحًا، وراودني شعور أنني يجب أن أركع معتذرة أمامه.

لكن وادا هزّ رأسه وقال، محاولًا أن يبدو غير مكترث: "لا بأس. حقًا، لا بأس... لا أمانع." لكنه لم ينظر إليّ مباشرة، بل ظل يحدّق إلى نقطة بعيدة لا أراها. كنت أعلم، من تلك النظرة فقط، أنني ضغطت على وترٍ خاطئ.

حاولتُ بسرعة أن أبدّل الموضوع، أبحث بيأس عن شيء أنقذ به الموقف، حين وقعت عيناي على الكتاب المقلوب على الطاولة أمامه...

"ما الذي تقرأه؟"

"آه، إنه كتاب بعنوان *صعود التل*. في الواقع، أعتقد أنني اشتريته من قسم المئة ين في مكتبة موريساكي."

تناول وادا الكتاب وألقَى نظرة عليه. تنفستُ الصعداء داخليًا لأننا أخيرًا انتقلنا لموضوع مختلف.

"أوه؟ لا أعرفه. هل هو كتاب جيد؟"

قال وهو يهز الكتاب: "من الصعب الحكم عليه. إنه من تلك الأعمال القديمة الحزينة. كاتب غير معروف كتب هذا الكتاب الوحيد ثم اختفى. الأسلوب ثقيل أحيانًا، وهناك أجزاء تبدو ناقصة، لكنها رغم ذلك تجذبني. قرأته خمس مرات حتى الآن."

كان يحدّق في صورة لوحة على غلاف الكتاب، تمثل طريقًا يتعرّج صعودًا نحو تلالٍ خضراء. كان ينظر إليها بنوع من الحنان الذي جعلني أرغب في قراءة الكتاب بنفسي.

"حقًا؟ خمس مرات؟ يبدو أنه أثّر فيك."

قال: "ربما. لكني لا أعرف إن كان بإمكاني أن أوصي به."

ثم سألني: "وأنتِ، ما الذي تقرئينه؟"

أخرجتُ كتابي من الحقيبة، وما إن رأى الغلاف حتى قال:

"آه، تاروهو إيناغاكي! رائع."

ثم نظر إليّ بإعجاب.

لم أكن أتوقع أنه يعرف الكاتب، رغم تردده المستمر على المكتبة، إلا أنني أدركت في تلك اللحظة أنه قارئ متمرس.

ابتسمتُ بخجل وقلت: "مع أنني عملتُ في مكتبة، لا أشعر أنني أمتلك معرفة حقيقية بالكتب. بالكاد خدشتُ السطح."

أجاب وادا: "لا أعتقد أن المعرفة العميقة هي ما يهم. حتى أنا لا أدّعي أنني أعرف الكثير. المهم هو كيف يلامسك الكتاب من الداخل."

ابتسمتُ وأنا أقول: "هذا بالضبط ما كان يقوله عمي دائمًا."

قال: "كنتُ أراك دومًا خلف الطاولة، غارقة في القراءة. جعلني هذا أتساءل كثيرًا: ما الذي تقرئينه؟"

"حقًا؟ أعتقد أنني كنت موظفة سيئة آنذاك، أليس كذلك؟"

ضحك وقال: "لا، لم أقصد ذلك أبدًا. كنتِ جزءًا من أجواء المكان. وجودك كان يشبه لحظة مراقبة فراشة تخرج من شرنقتها... لحظة لا تريد أن تزعجها فيها. لقد تركتِ فيّ انطباعًا لا يُنسى. ولهذا، عندما رأيتك قبل قليل تحملين كتابًا، عرفت فورًا: إنها تلك الفتاة من المكتبة."

جعلتني كلماته أتوتر. لم أكن أتوقع أبدًا أن يُلاحظني شخص بهذه الطريقة. ومع ذلك، ربما كان على حق. في تلك الأيام، كنتُ أشبه بفراشة تتلمس طريقها للخروج. كل صفحة كنتُ أقرؤها كانت أشبه بمحاولة يائسة للعثور على أجنحتي. لم أكن متأكدة حينها إن كنتُ قد تعلمت الطيران، لكنني كنت أحاول.

قلت، والصدق ينساب من لساني بلا توقف: "لو لم أدخل تلك المكتبة، لكنتُ أعيش حياتي حتى الآن في ضبابية. التقيتُ بأشخاص غيّروني، قرأتُ كتبًا فتحت

لي نوافذ لم أعرف أنها كانت مغلقة. شعرت أنني لمحت جزءًا صغيرًا ونفيسًا بداخلي. لذلك، أعلم أنني لن أنسى أبدًا الأيام التي قضيتها في مكتبة موريساكي."

كان وادا يهز رأسه ببطء وهو يستمع، والدهشة ترتسم على وجهه: "كل هذا حدث... وأنا لم أكن أعلم عنكِ شيئًا؟ يا فتاة، يا لها من قصة!"

لم أكن أعلم إن كان جادًا أم لا، لكن طريقته في التعبير جعلتني أضحك.

كان الشعور غريبًا... وكأنني أعرفه منذ سنوات. شخص يمكنني التحدث إليه لساعات دون أن أشعر بالملل. كان يستمع لي باهتمام، ثم يفاجئني فجأة بجملة مضحكة تخفف الأجواء. استمر حديثنا حتى نظرت إلى الساعة المعلقة على الجدار، وكانت تقترب من الحادية عشرة.

قلت مندهشة: "أوه، يبدو أنهم سيغلقون قريبًا."

قال وادا، وقد بدا عليه نفس القدر من الدهشة: "حقًا؟ لم أشعر بمرور الوقت."

بما أن منزله كان قريبًا، قرر أن يبقى حتى نهاية الدوام، أما أنا فقد نهضت لأغادر أولًا.

قال لي وهو يلوّح مبتسمًا: "أنا هنا كل ليلة تقريبًا. لنتحدث مجددًا ذات مرة، حسنًا؟"

دفعت الحساب وهممت بالمغادرة. لاحظت أن صاحب المقهى يراقبني من خلف الطاولة. عرفت ما الذي كان يفكر فيه، فرمقته بنظرة حادة. تظاهر بأنه مشغول، يتمتم بصوت منخفض: "مشغول، مشغول، مشغول..." ثم اختفى إلى الداخل.

وحين خرجتُ، رأيت وادا عبر نافذة المقهى، جالسًا وذقنه مستند إلى راحته، شارده نظراته.

انحنيتُ له قليلًا، معتقدة أنه ربما يراني، لكنه لم يتحرك.

استدرتُ، وبدأت أسير نحو المحطة.

شعرتُ بخفة غريبة في خطواتي، وكأن قدميّ لا تلامسان الأرض.

تمتمتُ: "يا له من شيء عجيب..."

رفعتُ رأسي نحو السماء، فرأيت القمر يتدلى في هدوء، شبه مكتمل، ينقصه شريط رقيق من جهة اليسار، يسبح في ظلمة الليل الصافية.

5

"لنذهب في رحلة معًا، فقط نحن الاثنتان."

عندما طرحت مومكو عليّ هذا السؤال، كان قد مضى حوالي أسبوعين منذ أن رأيتها لأول مرة بعد سنوات.

"هناك مكان رائع حقًا في أوكوتاما"، قالت ذلك بعينين تتلألآن بالحماس.

أومأتُ برأسي، وأنا أشعر بشيء من الحصار.

"هناك جبل ضخم، وعلى قمته يوجد مزار تاريخي. المنظر هناك رائع، والهواء نقي تمامًا. إنه مذهل. هناك نُزُل جميل على الجبل، يمكننا الإقامة فيه والاسترخاء لبعض الوقت. رحلة للبنات فقط. ما رأيكِ؟"

عندما حاولت تخيُّل رحلة تجمعنا معًا، شعرت ببعض القلق. لكنها كانت تمسك بيدي، وتضغط عليهما بشدة، ورأيت في عينيها أنها تنتظر مني أن أوافق. كان لدي شعور غامر بأنني أتعرض للضغط.

خلال الأسبوعين بين لمّ شملنا وهذه الدعوة، كنت أزور المكتبة بشكل متكرر. بالطبع، كنت هناك للتجسس على مومكو من أجل عمي. غالبًا ما كنت ألتقي به وهو يغادر للعمل، بينما كانت مومكو دائمًا في الغرفة بالطابق الثاني.

في كل مرة كنت أزورها، كانت مومو كو سعيدة جدًا برؤيتي. وكانت دائمًا تعاملني كضيفة تستحق وجبة منزلية مطهية بحب. عندما كنت أعيش هناك، كان المطبخ في الطابق الثاني يبدو صغيرًا جدًا، فلم أشعر أبدًا بالرغبة في الطهي، لكن مومو كو كانت تعدّ جميع أنواع الأطباق. كانت تُعدّ طحالب الهيجيكي مع اللحم البقري والتوفو والأخطبوط والفجل. وكانت تقلي السردين الماكريل بأسلوب "نانبانزوكه"، وتشوي سمك "بايك ماكريل" في الملح، وتعدّ حساء الميسو مع فجل "دايكون"، وكذلك التوفو المقلي. كنت أتوق كثيرًا لطعام المنزل لدرجة أنني بدأت أزور المكان فقط من أجل الطعام. عندما كنت أتصل بها أثناء استراحة الغداء في المكتب، كانت تبدو كالعروس الجديدة، وتسأل دائمًا: "ماذا تريدين أن تأكلي اليوم؟" فأجيبها بلا مبالاة وأطلب أي شيء يخطر ببالي.

في البداية، كانت مومو كو تقول دائمًا إن الطعام على حسابها، فلم أطلب منها شيئًا. لكن بعد فترة، أصريت على أن نتقاسم التكاليف وأدفع نصف ثمن البقالة.

"حسنًا، حسنًا"، قالت بسعادة وهي توافق.

"مومو كو، كل شيء تعدّينه لذيذ"، قلت ذلك وأنا أعني كل كلمة. كنت أتناول طعامها بنهم كما أفعل دائمًا.

"حسنًا، أنتِ تأكلين بحماس شديد. تجعلين الطعام يبدو شهيًا"، قالت مومو كو وهي تلتهم ضعف الكمية التي تناولتها. لم أستطع أبدًا أن أفهم كيف يمكن لجسدها الصغير أن يستوعب كل هذا الطعام.

"ولكنه لذيذ حقًا"، قلتُ بينما كنت أقضم قطعة من فجل مخلل.

"ألستِ تطهين؟"

"أطهو قليلاً، أشياء مثل المعكرونة فقط. لكن ليس شيئًا كهذا أبدًا."

"حسنًا، ماذا ستفعلين عندما يكون لديكِ صديق؟"

"تعتقدين أن ذلك سيكون مشكلة؟" في الحقيقة، لم تكن لدي خبرة كبيرة في إعداد الطعام لأحد أواعده. كانت فكرة الطهي لشخص آخر محرجة للغاية بالنسبة لي، لذلك كنت أتجنبها حتى الآن. على أي حال، لم يكن لدي خبرة كبيرة في العلاقات العاطفية من الأساس.

"الرجال كائنات بسيطة. لا يهم من يكونون، يمكنكِ دائمًا إغواؤهم بالطعام." ضحكت وقالت: "سأعلمكِ. فقط حاولي أن تتذكري."

لم أكن متأكدة من أن لدي أدنى فكرة عن شعور الرجال، وفي الواقع، بدا الأمر كما لو أن موموكو كانت تسيطر عليّ أكثر منهم.

بالطبع، لم أنسَ تمامًا طلب عمي. حاولتُ أن أجعلها تتحدث، لكن موموكو كانت دائمًا تتجنب الإجابة على أسئلتي. عندما كنت أسألها عن شيء بجدية، كانت تردّ ببساطة: "أوه، لا أعرف." مهما حاولتُ محاصرتها، كانت تتملص كأنها سمكة ثعبان. كانت بالفعل شخصًا يميل إلى القفز من موضوع إلى آخر دون سبب واضح، وغالبًا ما كانت تنحرف عن الحديث إلى أمور جانبية. وبمجرد أن يُوضَع الطعام أمامي، كنتُ أغرق في نشوة النكهات، وأنسى تمامًا أن أسأل عن أي شيء آخر.

وهكذا كانت تمرّ الأمور في كل مرة، لذا لم أحرز تقدمًا كبيرًا. ومع ذلك، تمكنت من معرفة بعض الأشياء عنها. عندما كانت موموكو تسكر، كانت تخفّ حذرها وتبدأ في الحديث أكثر (لهذا السبب كنت أشجعها على الشرب أكثر). فقدت والديها في سن مبكرة، وتربّت على يد عمتها وعمها في نييغاتا. بعد المدرسة الإعدادية، عملت في مصنع صغير، ثم انتقلت إلى طوكيو في سن الحادية والعشرين، حيث، من بين أشياء أخرى، وقعت في حب مصور صاعد ("حقًا؟ هل هذا صحيح؟" لم أستطع منع نفسي من السؤال).

عاشت موموكو لفترة في باريس لأن حبيبها ذهب إلى هناك للعمل، فقررت أن تتبعه دون حتى إخباره بنيّتها. خطوة جريئة، لكنها كانت موموكو بكل تأكيد.

"كنتُ صغيرة، كما تعلمين. مجرد فتاة لم تكن تعرف أي شيء، وكان هو كل ما كنت أفكر فيه. لاحقًا اكتشفت أنه كان متزوجًا ولديه أطفال في اليابان. مجرد فكرة أنني كنت سأحصل على العائلة التي لطالما تمنيتها على حساب تدمير عائلة شخص آخر... كان ذلك فوق احتمالي." قالت موموكو ذلك وهي شاردة في البعيد.

لم تستطع رؤية مستقبل لهذا الحب، وفي النهاية، انهار كل شيء. كان قلبها محطمًا. عندها فقط صادفت عمي ساتورو. في البداية، رأته كشخص يحتاج إلى من يعتني به. ساعدته في بعض الأمور، وقبل أن تدرك الأمر، كانت قد وقعت في حبه.

"لم أكن أعرف أي شيء عن هذا"، قلت، مندهشة من مقدار القصة التي شاركتها.

"ماضيّ يجعل ساتورو يشعر بالغيرة. لهذا السبب لا يحب الحديث عنه كثيرًا"، قالت موموكو بلامبالاة وهي تهز كتفيها.

في تلك الأثناء، اكتشفت موموكو السبب الحقيقي لزياراتي المتكررة. حدث ذلك في إحدى الليالي عندما أصبح من الطبيعي تمامًا بالنسبة لنا أن نأكل معًا. وبينما كانت تحتسي الساكي، ابتسمت بمكر وقالت فجأة: "ساتورو هو من طلب منكِ فعل هذا، صحيح، تاكاكو؟"

"هاه؟ ماذا تعنين؟" قلت، وأنا أشعر بذعر داخلي بينما كنت أحاول مواكبة التمثيلية. لكن لم يكن هناك فائدة. نظرت إليّ موموكو بفرح شديد وهي تمد يدها وتقرص خدي.

"أنا أفهم ما يفكر فيه. لكن تاكاكو، في أعماقكِ، هل أجعلكِ تشعرين بعدم الراحة؟"

خفق قلبي بشدة وهي تقرص خدي كما يحلو لها. بطريقة ما، كانت قد رأت الحقيقة بوضوح تام. كان صحيحًا أن جزءًا صغيرًا مني لم يكن يرتاح تمامًا للعيش معها. لم أكن أكرهها بالتأكيد، لكن إن سألني أحد إن كنت أحبها، لما استطعت الجزم بذلك. هذا ما كنت أشعر به. أما لو سألني أحد عن طعامها، لكنتُ أجبت فورًا أنني أعشقه.

بصراحة، وجدتها شخصًا صعب الفهم. كان عمي يشبهها من هذه الناحية. كان هناك شيء لم أستطع استيعابه عنه، لكنها كانت مختلفة. شعرتُ أنه مهما تحدثتُ إليها، لم أتمكن أبدًا من ردم الفجوة بيننا. أحيانًا كنتُ أشعر وكأننا نقف على جانبي نهر، نتحدث إلى بعضنا البعض من مسافة شاسعة.

"لا بأس، لأنني أحبكِ يا تاكاكو. وأعتقد أن صراحتك لطيفة. لا يمكنكِ الكذب. هذا يجعلني أتمنى لو كنتُ أملك روحًا جميلة مثلك."

"أنا بالتأكيد لا أملك روحًا جميلة."

شعرتُ أنها ربما كانت تسخر مني، مما أزعجني قليلًا.

لكن موموكو بدت جادة تمامًا. "أنا أكذب طوال الوقت"، قالت ذلك بصوت يحمل شيئًا من الوحدة. للحظة، خفضت رأسها.

كشف تعبير وجهها في تلك اللحظة عن شيء لم يفُتني ملاحظته. شعرتُ أنها كانت المرة الأولى التي أقترب فيها من معرفة ما تشعر به موموكو حقًا.

لكنها كانت مجرد لحظة عابرة.

على الفور، أضاء وجهها من جديد، وعادت إلى طبيعتها المعتادة، وغيّرت الموضوع. وهذا عندما طرحت فكرتها: "مهلًا، ماذا عن الذهاب في رحلة معًا؟ لا يزال الوقت مبكرًا لموسم تساقط أوراق الخريف، وهذا يعني أن المكان لن يكون مزدحمًا، ويمكننا أخذ وقتنا. هل أنت مشغولة في العمل؟" استمرت في الحديث بهذا الشكل، تمارس عليّ ضغطها المعتاد.

"لا، إنها شركة مرنة نسبيًا."

"إذًا، الأمر محسوم؟"

"أمم، حسنًا..."

في البداية، كنتُ أعتقد أنني سأرفض، لكن لسبب ما، تركني التعبير الذي رأيته على وجهها قلقة. لذلك، في النهاية، وافقت. "لنذهب."

لا أستطيع تفسير الأمر تمامًا، لكني شعرتُ بشيء ما حينها. لم يكن حدسًا واضحًا، لم يكن أمرًا عظيمًا لهذه الدرجة. كان شيئًا لا أستطيع التعبير عنه بالكلمات، لكنني شعرت به بوضوح عندما رأيت وجهها، وكأنه علامة لا ينبغي لي تجاهلها.

رأيتُ وادا مرتين أخريين في "سافور" قبل حديثنا عن الرحلة. في كلتا المرتين، كنتُ أتوقف عند المقهى في طريقي إلى المنزل بعد رؤية موموكو، وكان هو هناك. قال إنه يأتي كثيرًا، ويبدو أن ذلك كان صحيحًا. كان يجلس في نفس المقعد بجانب النافذة في كل مرة، يحدّق إلى الخارج كما كان يفعل من قبل.

لم أكن متأكدة تمامًا مما إذا كنتُ أذهب إلى المقهى لأني أردت رؤية وادا أم لا. لا أعتقد أنني كنتُ أذهب إلى هناك متوقعة أي شيء معين. لكن عندما دخلتُ وأبصرتُ وادا من الخلف، وجدتُ نفسي أقول، "أوه."

ألقيتُ التحية، واهتزّت كتفاه كما لو أنني أيقظته من حلم. حدّق فيّ لمدة خمس ثوانٍ كاملة، وكأنه يتحقق من شيء ما، ثم ابتسم وقال مرحبًا.

بدا وكأنه يدعوني للانضمام إليه، لذا جلستُ أمامه، وتحدثنا.

لم يكن حديثًا عميقًا، مجرد دردشة عابرة،

لكن مجرد التحدث معه جعلني أشعر براحة غريبة. في إحدى المرات، غادرنا معًا بعد إغلاق المقهى وذهبنا في نزهة صغيرة إلى القصر الإمبراطوري.

"أراك قريبًا."

"إلى اللقاء."

وهكذا قلنا وداعًا، رغم أننا لم نكن نملك حتى معلومات التواصل الخاصة ببعضنا البعض، ولم تكن هناك أي ضمانات بأننا سنلتقي مجددًا.

بعد تلك الليلة، ذهبت إلى المقهى للمرة الثالثة، لكن وادا لم يكن هناك. كنتُ أعلم أنه لا يوجد سبب منطقي لأتوقع وجوده، لكنني شعرتُ بخيبة أمل على أي حال. شعرتُ وكأنني جئتُ بلا سبب. لكنني أقنعتُ نفسي بأنه كان سيكون أكثر غرابة لو كان هناك طوال الوقت.

في تلك الليلة، جلستُ عند طاولة المقهى وحاولتُ بطريقة غير مباشرة أن أسأل المالك عن وادا.

رآني أتحدث إليه من قبل، لذا كان يتذكره بالطبع.

"إنه زبون هادئ نوعًا ما. هذه الأيام، بمجرد أن يحلّ الظلام، يأتي إلى هنا. لكنني لا أذكر إن كان معتادًا على المجيء في السابق."

"هو ليس هادئًا. إنه شخص متحفظ"، صححتُ للمالك بلطف.

"أوه، عذرًا. يبدو أنه من النوع الذي يفضل البقاء لفترة."

ثم تدخل تاكانو من الطرف الآخر للمقهى ليقدم اقتراحًا سخيفًا: "أليس يأتي إلى هنا لرؤية تاكاكو؟ من هنا، يبدو أنهما يبدوان جيدين معًا."

حدّقتُ إليه بفمٍ مفتوح للحظة، ثم أنكرتُ بغضب. "هذا سخيف!"

"أوه، هيا، لا تغضبي."

"من الأفضل أن تكفّ عن التدخل!" قالها المالك، مطاردًا إياه.

صرخ تاكانو، "آسف!" وهو يهرب من الغرفة.

عندما رفعتُ كوب القهوة إلى شفتي، تذكرتُ ما قاله تاكانو في مرة سابقة. لا يمكن أن يكون صحيحًا، أليس كذلك؟ وأخبرتُ نفسي مجددًا أن تاكانو مخطئ.

لكن... ماذا لو كان محقًا؟

وادا شخص رائع. كان ودودًا ومهذبًا، ويملك حسّ دعابة جيد. كما أنه كان يعرف الكثير عن الكتب، بالطبع. لم يكن يتفاخر بنفسه دائمًا، ولم يكن يضحك بصخب على نكاته الخاصة. بشخصيته هذه، من المؤكد أن الكثير من النساء قد ينجذبن إليه.

لكن ماذا عني؟

بينما كنتُ أتأمل في هذا السؤال، أدركتُ أن صاحب المقهى كان يحدّق بي مجددًا.

"يجب أن تعملي على التخلص من عادتك في التحديق في الناس بهذه الطريقة المكثفة. خاصة عندما يتعلق الأمر بالفتيات. سيبدأن في الاستياء منكِ"، قلتُ ببرود.

ضحك المالك ضحكته العالية بينما كان يهرع خلف تاكانو، متلاشيًا في الجزء الخلفي من المقهى.

فقدتُ رغبتي في التفكير في السؤال، لذلك أخرجتُ الكتاب الذي أخبرني عنه وادا، *إلى التل*، وقررتُ تجربته. عندما كنتُ أزور موموكو في وقت سابق، عثرتُ عليه بالصدفة على أحد رفوف المكتبة قبيل موعد الإغلاق.

عندما رأى عمي الكتاب في يدي، قال لي بغير اهتمام: "إنه لا شيء مميز."

"لا بأس"، قلتُ، ثم ناولتُه مئة ين واشتريتُ الكتاب.

إنها رواية قصيرة، حوالي مئتي صفحة. في تلك الليلة، بدأتُ بقراءتها في *سافور*، ثم أكملتها لاحقًا في المنزل قبل النوم.

كانت قصة حزينة، تمامًا كما قال وادا.

تدور أحداث القصة في طوكيو، خلال الفترة التي كانت فيها البلاد تعيد البناء بعد الحرب. البطل الرئيسي هو كاتب غير ناجح يُدعى ماتسوجورو إيدا. يلتقي بامرأة جميلة تعمل في مقهى "حديث" يقع على التل. بالنسبة له، كانت حبًا من النظرة الأولى. في البداية، لم تأخذه على محمل الجد، لكن ماتسوجورو استمر في زيارة المقهى يوميًا، وعندما اعترف لها بحبه، أصبحت الفتاة المرحة أوكيو شريكته.

لكن تمامًا عندما يبدو أن الأيام السعيدة قد تدوم إلى الأبد، تُجبر أوكيو على الزواج من ابن رجل ثري لسداد ديون والدها. مع مستقبله الغامض، لم يكن لدى ماتسوجورو أي وسيلة لمنع الزواج.

يستمر ماتسوجورو في كتابة الروايات وسط وحدته ويأسه. الدافع الوحيد الذي يبقيه مستمرًا هو الأمل في أنه إذا أصبح مشهورًا وصنع اسمًا لنفسه في العالم، فقد يتمكن من استعادة أوكيو. وأخيرًا، في أواخر الثلاثينيات من عمره، يتحقق حلمه، ويجد النجاح كروائي. ولكن حينها يكتشف الحقيقة المروعة: لقد استسلمت أوكيو لوباء ولم تعد موجودة في هذا العالم.

منذ ذلك الحين، يقضي ماتسوجورو أيامه غارقًا في الكحول والنساء، ثم المخدرات. حياته العابثة تترك جسده محطمًا، لكنه لم يسمح لنفسه أبدًا أن ينسى أوكيو، ولا حتى للحظة. يستمر في الذهاب إلى المقهى حيث التقيا لأول مرة كل يوم. ثم، في أحد الأيام، وهو في طريق عودته من المقهى، ينهار وهو يسعل الدم. ومع فقدانه للوعي، لا يبقى في قلبه سوى ذكرى أوكيو.

أصابتني الهوس المؤلم والمكثف لماتسوجورو في الصميم. بعد أن أنهيتُ قراءة الكتاب، شعرتُ بأن قلبي قد خمد. انسابت الدموع على وجنتي وسقطت على الصفحات، تاركة آثارًا باهتة على الورق.

تحت أغطية الفوتون، وبينما كنتُ أنجرف إلى النوم، وجدتُ نفسي أفكر في أن وادا لديه جانب رومانسي إلى حد ما.

في حلمي تلك الليلة، كنتُ المرأة التي تدير المقهى في الرواية، وأمسكتُ بأوكيو من كتفيها، أبذل قصارى جهدي لإقناعها بالخروج مع ماتسوجورو.

6

"لماذا عليك الذهاب في رحلة معها؟"

في الليلة التي سبقت مغادرتنا، تلقيتُ مكالمة من عمي. كنتُ أعمل في المكتب، وكنتُ آخر شخص لا يزال هناك. قال إنه سمع للتو من موموكو عن الرحلة" .طلبتُ منكِ معرفة ما يجري معها"، قال بصوت مرتبك، "لكن لم يكن عليكِ الذهاب إلى هذا الحد."

"لقد حدث ذلك بينما كنا نتحدث، "أجبتُ بشكل غامض. لم أشعر أنني قادرة في تلك اللحظة على شرح كيف حدث الأمر بالضبط.

"معرفتي بها، أراهن أنها أجبرتكِ على مرافقتها"، قال عمي بقلق واضح.

"لا، لم يكن الأمر كذلك."

"لا أعلم، "قال عمي، ولا يزال قلقًا.

"سأحضر لكَ هدية، "قلتُ بمرح.

"إذا كنتِ بخير مع الأمر، تاكاكو، فأعتقد أنني كذلك أيضاً، "قال باستسلام متردد" .بالمناسبة، سابو يستمر في اقتحام المتجر قائلاً إنه يريد رؤية موموكو. ماذا يحدث بحق الجحيم؟"

تذكرتُ المشهد الصغير في "سافور" وضحكتُ بصوت عالٍ.

"يبدو أنه يريد التحدث معها."

"ماذا؟ "سمعتُ دهشة عمي على الطرف الآخر من الهاتف." موموكو ستسحقه تمامًا، ثم تغدقه بالإطراء، وسينتهي به الأمر بالعودة إلى المنزل سعيدًا. إنها بارعة حقًا في التعامل مع رجال مثله."

استطعتُ أن أتخيل المشهد بالكامل في ذهني.

"أعتقد أنك محق."

"لا شك في ذلك. لكنها في العادة تخرج في وقت الغداء، لذا فهي ليست هنا عندما يأتي سابو، مما يجعله غاضبًا."

"هل هذا صحيح؟"

"وحتى عندما أحاول أن أسألها بلطف عن وجهتها، لا تخبرني."

كان دوري لأشعر بالدهشة. "لأنها ليست طفلة" قلتُ. "طالما أنها تعود بعد ذلك، هل يهم حقًا؟"

"أعتقد أن هذا صحيح... على أي حال، لا يتوجب عليك الذهاب في هذه الرحلة إذا كنتِ لا تريدين ذلك. لا أعرف لماذا اختارتكِ أنتِ" استمر في التمتمة ثم أنهى المكالمة.

تلك الليلة، بعد أن أنهيتُ عملي، قررتُ المرور على "سافور" مجددًا. بحلول الوقت الذي غادرتُ فيه المكتب، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة بالفعل، ولم أشعر برغبة في العودة إلى المنزل، لذلك انتهى بي الأمر بالصعود إلى هناك. كان المكان لا يزال مكتظًا. المقعد المعتاد لوادا بجانب النافذة كان مشغولًا بفتاتين.

وجدتُ مكانًا على طاولة وجلستُ أقرأ ببطء من الكتاب الذي اشتريته لرحلتي— *الأصدقاء* لسانيأتسو موشانوجي—لكنني لم أستطع التركيز حقًا. رغم أنني لم أقصد ذلك، إلا أنني في كل مرة يدخل فيها شخص ما إلى المقهى، كنتُ أجد نفسي أنظر نحو الباب، متسائلةً إن كان وادا قد أتى.

لم أتمكن سوى من قراءة عشرين صفحة تقريبًا عندما ظهر وادا أخيرًا، ولكن هذه المرة، كان ذلك حقيقيًا. ألقيتُ عليه تحية خفيفة برأسي، وأنا أشعر بالارتباك، فتقدم ببطء نحوي.

تقدَّم إلى حيث كنتُ جالسة. رؤيته من تلك المسافة أعطتني شعورًا غريبًا. بدا أقلَّ حيوية من المعتاد.

انتظرتُ حتى جلس قبل أن أطرح أي أسئلة. "هل كنتَ مشغولًا في العمل؟"

"لا، على العكس، الأمور بطيئة هذه الأيام." قال وادا ذلك بابتسامة، لكن ملامحه كانت تعكس إرهاقه.

سكتنا للحظة. عادةً، لم أكن لأقلق بشأن لحظات الصمت بيننا، لكن لسببٍ ما، شعرتُ بثقلٍ في الجو. فكرتُ فيما قاله تاكانو، مما جعل من الصعب عليَّ حتى بدء محادثة.

"هذا يذكرني" قلتُ مبتسمة، متذكرةً شيئًا جيدًا لأخبره به "لقد قرأتُ *فوق التل*."

لكن وادا لم يُبدِ اهتمامًا كبيرًا. "أوه، هل فعلتِ؟" تمتم بلا مبالاة. كنتُ أنانيه بما يكفي لأتوقع أن يُسعده سماع ذلك. شعرتُ بالإحباط لأن توقعاتي كانت بعيدة تمامًا عن الواقع.

"القصة مبتذلة بعض الشيء، ألا تعتقدين؟" قال وادا بنبرة ساخرة.

"لا، لقد أحببتُ الكتاب."

"لكن فكرة انتظار الشخص الذي تحبه حتى يوم وفاتك... هذا النوع من الأمور لا يحدث أبدًا في الواقع."

"هل تعتقد ذلك؟"

"على الأقل هذا ما أظنه. بدلًا من ذلك، الشخص الذي تحبه يأتي مباشرةً ليخبركِ، وإلا فإنكِ تصبحين 'مخيفة.'"

"هاه؟" لم يكن لديَّ أي فكرة عمَّا كان يتحدث عنه. لكن وادا تابع حديثه بتقطع.

عندما التقيتُ بها لأول مرة، أحضرتُها إلى هنا. أحبَّت المكان، ومنذ ذلك اليوم، صرتُ آتي إلى هنا كثيرًا. لهذا السبب قلتُ لها إنني سأظل أنتظرها هنا.

إذا غيَّرتِ رأيكِ، قلتُ لها، تعالي وابحثي عني هنا. حسنًا، قبل يومين فقط، أرسلتْ لي بريدًا إلكترونيًا أوضحت فيه الأمر تمامًا: أنتَ تتصرف بطريقة مريبة. توقف.

في هذه اللحظة، سمعتُ ما يكفي لفهم ما كان يقصده سابقًا. إذًا هذا ما كان يجري. لو أنه أخبرني بذلك في وقتٍ أبكر. لا، لكن لماذا قد يخبرني؟

لقد كان ينتظر طوال هذا الوقت—ينتظر تلك المرأة الجميلة التي اعتاد إحضارها إلى المكتبة. كان تمامًا مثل ماتسوغورو الذي انتظر أوكيو. أو بالأحرى، هل لهذا السبب نقل كل تلك المشاعر إلى الرواية واستمر في قراءتها مرارًا وتكرارًا؟

يا إلهي. ظللتُ أكرر الكلمات في رأسي مرارًا وتكرارًا. لم أكن حزينةً بشكل خاص، لكن في أعماقي، كنتُ أعلم دائمًا أنه لم يكن يراني بتلك الطريقة. شعرتُ فقط بأنني حمقاء تمامًا لأنني سمحتُ لنفسي بأن أنفعل هكذا حيال الأمر كله.

ماذا عن الطريقة الغريبة التي كنا نتحدث بها باستمرار؟ أو الطريقة التي شعرنا بها كأننا أصدقاء قدامى؟ لا شيء من ذلك كان حقيقيًا. كان وادا لطيفًا بما يكفي ليصغي إليَّ، وكنتُ أستغل ذلك لأتحدث عن نفسي. هذا هو ما جعلني أشعر بالسوء حقًا. شعرتُ بالذنب الشديد عندما أدركتُ ذلك أخيرًا.

"أنا آسف. إنها ليست قصة مثيرة للاهتمام كثيرًا،" قال وادا بأسف، ربما لأنه لاحظ أنني ظللتُ أنظر إلى الأسفل طوال الوقت.

هززتُ رأسي. "لا، أنا مَن ينبغي أن يعتذر."

"ماذا؟ لماذا تعتذرين، تاكاكو؟" بدا وادا متفاجئًا.

"فقط لأنني أشعر بذلك."

"هاه؟"

كنتُ أرغب في الاعتذار أكثر، لكنني لم أُرِد أن يظن أنني غريبة الأطوار، لذا أمسكتُ لساني. يجب أن أغيِّر الموضوع، فكرتُ، لكن في الوقت نفسه شعرتُ برغبة شديدة في طرح سؤال آخر كان يغلي بداخلي.

"لقد أحببتَها، أليس كذلك؟" تفوَّهتُ بالكلمات، ثم ندمتُ على الفور.

ابتسم وادا قليلًا.

"أكره أن أعترف بمدى طفولية الأمر كله. لكن، كما تعلمين، يمكنني أن أفهمه أيضًا. في البداية، لم يكن يبدو أن هناك شيئًا مشتركًا بيننا. لم تكن هناك أي فرصة لنجاح العلاقة بيننا. لكنها كانت كالعناد بالنسبة لي. لقد وقعتُ في حبِّها. ولسببٍ ما، لم أستطع أبدًا أن أرى أننا مختلفان للغاية، وأنه من الأفضل أن ننهي الأمر. لطالما اعتقدتُ أنني شخص رصين، لكنني اكتشفتُ أنني أمتلك جانبًا عاطفيًا أيضًا. كان هذا مفاجئًا بعض الشيء."

كان بإمكانه أن يتجاوز التحليل في هذه المرحلة. أظنُّ أنه كان غريبًا بعض الشيء بعد كل شيء.

"أعتقد أنك شخصٌ جيد،" قلتُ، محاوِلةً التخفيف عنه. تمنيتُ لو كان بإمكاني أن أجد شيئًا أفضل لأقوله، لكن لم يخطر ببالي شيء آخر. كنتُ صادقةً تمامًا. وادا كان شخصًا جيدًا حقًا.

شكرًا لكِ. إذا كنتِ تقولين ذلك، فلا بد أنني إنسان جيد. هذا أمرٌ مؤكد.

قال ضاحكًا بخفة. لكنها قالت لي،

"أنت شخصٌ جيد، لكنك لستَ مثيرًا للاهتمام."

"ألا تعتقد أنها كانت قاسية بعض الشيء؟" قلتُ، وأنا أشعر ببعض الغضب تجاه تلك المرأة. شعرتُ أنها لم تتمكن من رؤية الجوانب الطيبة فيه.

"لا" قال وادا "لأنني أتفق معها. بل إنني كنتُ مندهشًا من مدى دقَّتها في وصف الأمر. لكن هذا موضوع طويل، فلنُسدل الستار عليه." حاول وادا تغيير الموضوع وجعلي أفتح قلبي بالحديث عن كيف كانت أحوالي مؤخرًا. لكنني كنتُ لا أزال أشعر بالجرح، ولم أتمكن من المشاركة في المحادثة.

"آسفه، لديَّ يومٌ طويلٌ غدًا..." لم تَسِر المحادثة في أي اتجاه أكثر إشراقًا. حاولتُ الاستمرار قليلًا، ثم اعتذرتُ ونهضتُ.

"أوه، حقًا؟" نظر إليَّ وادا ببعض الفراغ.

عندما حاولتُ المغادرة، ناداني صاحب المقهى من قرب الباب: "هل ستذهبين إلى المنزل، تاكاكو؟"

"نعم" كان كل ما قلته قبل أن أغادر.

كنتُ في مزاج كئيب. لا بد أن صاحب المقهى لاحظ ذلك أيضًا. لم أشعر برغبة في العودة هناك لفترة.

بينما كنتُ أمشي، شعرتُ بالإحباط أكثر فأكثر. لا بد أنني تنهدتُ حوالي ثلاثين مرة. وبحلول الوقت الذي أدركتُ فيه أنني نسيتُ كتابي على الطاولة، كنتُ قد ركبتُ القطار بالفعل في طريقي إلى المنزل.

7

التقيتُ بمومكو في محطة شينجوكو الساعة العاشرة صباحًا.

كان الطقس غائمًا، لكن وفقًا لنشرة الأخبار، من المتوقع أن تشرق الشمس في فترة بعد الظهيرة. كنتُ أستغل إجازتي لهذه الرحلة، لذا حاولت قبل مغادرتي المنزل أن أُشجّع نفسي: "لا تدعي ما حدث الليلة الماضية يُفسد رحلتك."

وصلت مومكو إلى المدخل الجنوبي المزدحم من محطة شينجوكو وهي لا تحمل سوى حقيبة ظهر صغيرة لدرجة أنها بدت وكأنها تخصّ طفلًا. لم يكن أحد ليُخمن أنها على وشك الانطلاق في رحلة.

كانت قد رفعت شعرها إلى كعكة بسيطة، وترتدي سترة خضراء بغطاء رأس وسروالًا رياضيًا أسود. صغيرة الحجم كما هي، بدت من بعيد كطالبة في رحلة مدرسية.

ما إن رأت ملابسي حتى قطبت حاجبيها قائلة: "يا إلهي، هل هذه ملابس من ينوي الذهاب إلى الجبال؟"

كانت أول رحلة لي منذ وقت طويل، وكنت قد ارتديت فستانًا جديدًا اشتريته من التنزيلات. "لكنني أرتدي حذاءً رياضيًا!" قلت مدافعة.

"وأحمل ملابس مناسبة للتنزه في حقيبتي."

"لم يكن عليك أن تحملي كل هذا،" قالت موموكو.

أحرجني تعليقها—ربما كنت متحمسة أكثر من اللازم.

ولتعويض جملتها، أضافت:

"أظن أن هذا جزء من كونك شابة. دائمًا ما تأخذين الكثير من الأغراض معك."

"وماذا عنكِ حين تكبرين؟ هل تحملين أقل؟" سألتها.

أجابت بجفاف: "الأمر طبيعي بالنسبة لي، تاكاكو. لا أحب أن يثقلني شيء."

"هذا منطقي،" قلت، مقتنعة.

قالت موموكو بابتسامة خفيفة: "على كل حال، شكرًا لقدومك. لنقضِ معًا رحلة ممتعة لثلاثة أيام." ثم استقامت وانحنت لي بطريقة مسرحية.

"أنا من يجب أن يشكركِ،" رددت وأنا أنحني بدوري.

استقللنا خط تشوأو من شينجوكو، ثم بدّلنا إلى خط أومي عند محطة تاتشيكاوا. منذ أن أتيت إلى طوكيو قبل خمس سنوات تقريبًا، لم أزر هذا الاتجاه من المدينة من قبل. كانت عربات القطار على خط أومي شبه فارغة.

جلس أمامنا فتى في المرحلة الثانوية، يبدو من النوع المشاغب. كان شعره فوضويًا وكأنه استيقظ متأخرًا، وجلس بتجهم، يطرق الأرض بقدمه بعصبية.

بدا وكأنه غاضب من العالم بأسره.

جلست مومو كو في مقعدها وأخذت تحدق عبر النافذة، تدندن لنفسها. كنتُ قد بقيت مستيقظة حتى الفجر، أفكر في أمور شتى، لم يكن أيٌّ منها مهمًا حقًا. وبمجرد أن جلستُ على مقعد القطار، غلبني النعاس قبل أن أدرك ذلك. عندما استيقظتُ بعد قليل، كان الطالب المشاغب قد رحل منذ زمن. لا بد أنه ذهب إلى المدرسة غاضبًا.

نظرتُ من النافذة، ورأيتُ أنه في لحظةٍ ما، اختفت الغيوم، وامتد أمامي سماء زرقاء صافية. كانت هناك منازل ومباني أقل بكثير، والجبال في الأفق البعيد خلف الأراضي الزراعية وحقول الأرز باتت تكبر وتكبر.

"مذهل، "قلتُ، وأنا أفرك عيني.

"انتظري حتى تري ما هو قادم،" قالت مومو كو بابتسامة.

نزلنا من القطار عند محطة صغيرة تدعى *ميتاكي*. كانت الجبال أمامنا مباشرة، تتلألأ خلفها السماء الزرقاء، وفي وسط كل ذلك، ارتفع جبل ضخم مهيب يطغى على كل شيء آخر. كان جبلًا شامخًا، هائلًا، لا يتزعزع أبدًا.

لم تكن أوراق الأشجار قد بدأت بتغيير لونها بعد إيذانًا بدخول الخريف، لذا ظل الجبل بلونه الأخضر العميق. في مكانٍ ما هناك، كان يقع النُزُل الذي كنا متجهين إليه.

"لسنا بعيدين جدًا عن وسط المدينة، لكن يبدو وكأننا قطعنا مسافة طويلة جدًا،" تمتمتُ وأنا أنظر إلى المشهد الممتد أمامي. أخذتُ نفسًا عميقًا وملأتُ رئتي بالهواء

النقي المنعش. كان من المدهش رؤية مقدار الطبيعة التي ما زالت قائمة حتى داخل حدود المدينة.

"لم يستغرق الأمر سوى بضعة عقود حتى تكتظ المدينة بكل تلك المباني،" قالت موموكو.

ذكرني ذلك بالقصة القصيرة *موساشينو* لإحدى روايات *دوبو كونيكيد*.

في بداية القرن العشرين، عندما كان *دوبو* لا يزال على قيد الحياة، كانت منطقة *موساشينو* لا تزال برية لدرجة أنك قد تضيع داخلها بسهولة. أما الآن، فلم تعد سوى حيٍّ آخر في طوكيو. تتغير الأزمان بسرعة. كان الأمر كفيلًا بجعلك تشعر بالدوار.

عند المحطة الصغيرة أمام محطة القطار، استقللنا حافلة نقلتنا على الطريق السريع إلى نقطة انطلاق القطار المائل، في منتصف الطريق أعلى الجبل. عندما وصلنا إلى محطة الحافلات، كانت هناك مجموعتا سياح قد وصلوا على نفس القطار الذي جئنا به، وقد سبقونا إلى مقاعدهم. كان كلاهما مجموعتين من كبار السن من الرجال والنساء. لم نكن نعرف ما الذي جمعهم معًا هناك، لكنه كان لغزًا لم نحاول حله. انحنينا لهم قليلًا وجلسنا بجانبهم.

التفتت إلينا أكبر سيدة في المجموعة بابتسامة وقالت،

"رحلة صغيرة بين الأم وابنتها؟"

"نعم، "قالت موموكو، مبتسمة.

لسنا أمًّا وابنتها، فكرتُ في نفسي، لكن كان من المتعب جدًا شرح علاقتنا، لذا اكتفيت بالإيماء ووضعت على وجهي تعبيرًا يقول، *هذه أمي، وأنا ابنتها.*

ما إن ركبنا الحافلة، حتى بدأت ثلاث فتيات صغيرات في سن المدرسة الابتدائية يتحدثن إلينا. بدا أنهن معتادات على السياح، لأنهن لم يبدين خجولات على الإطلاق. بدت مومكو وكأنها تحب الأطفال. منحتهم ابتسامة كبيرة وبدأت في التحدث معهم بسعادة.

"في أي صفٍّ أنتم؟" سألتهم.

"الأول!" أجابوا بصوت واحد، بحماس شديد.

أخبرونا أن عائلاتهم تدير نُزُلًا في الجبل، لذا كان عليهم النزول إلى أسفل الجبل يوميًا للذهاب إلى المدرسة.

"يجب أن يكون ذلك صعبًا" قلتُ، وهو على الأرجح ما يقوله جميع السياح لهم.

"أعتقد ذلك" أجابت إحداهن، بنبرة ناضجة على نحو غريب.

بدا الأمر وكأنها تقول، *أوه، الآن تخبرينني؟*

"هيا، أسرعوا!" صرخوا.

وبينما كانوا يقودوننا، نزلنا من الحافلة وصعدنا طريق الجبل إلى محطة القطار المائل. كان الأطفال يركضون بسرعة، وسرعان ما شعرتُ بالتعب وأنا أحاول اللحاق بهم. استدارت مومكو ونظرت إليّ.

"تاكاكو، أنتِ تعلمين أن التسلق الحقيقي لن يبدأ إلا بعد القطار المائل، أليس كذلك؟ إذا كنتِ متعبة بالفعل، فلا أعرف ماذا سنفعل معكِ" قالت ممازحة.

انفجر الأطفال ضاحكين. "سيدتي، لن تنجحي أبدًا في هذا. هكذا تصبح الأمور عندما تكبرين في المدينة" قال أحدهم، وضحكوا مرة أخرى.

"في الواقع، نشأتُ في الريف البعيد في كيوشو" قلتُ محاوله تبرير موقفي من الخلف، لكنهم كانوا يسيرون بسرعة كبيرة، وكنتُ قد تأخرت عنهم كثيرًا لدرجة أن لا أحد بدا أنه يسمعني. لماذا كانت موموكو في هذه اللياقة الرائعة؟ فرق العمر بيننا كان كافيًا لجعل الناس يخطئون في اعتبارنا أمًّا وابنتها. بدأتُ أشعر بالندم لأنني لم أحزم أمتعتي بشكل أخف.

عندما وصلتُ أخيرًا إلى قاعدة القطار المائل، ناولتني موموكو زجاجة شاي اشترتها من محل الهدايا "تفضلي" قالت.

تقبلتُها بامتنان وشربتها دفعة واحدة.

ركبنا القطار الجبلي المائل الذي صعد بنا على امتداد المسار الضيق بمحاذاة جدول ماء صافٍ. أنزلنا القطار قبل الوصول إلى القمة بقليل، ولوّحنا للأطفال الذين نزلوا معنا، ثم شرعنا في متابعة الصعود على الأقدام.

كنا قد بلغنا قرابة الألف متر فوق مستوى سطح البحر، وكان من الصعب تصديق أن أقل من ساعة مضت منذ كنا في أسفل الجبل. على الطريق الجبلي الضيق المؤدي إلى القمة، انتشرت لافتات وإعلانات تشير إلى مواقع النُّزُل المختلفة.

قالت موموكو ببرود كأن الأمر لا يعنيها: نُزُلنا هو الأبعد، سيستغرق الوصول إليه نحو أربعين دقيقة.

"ماذا؟" تذمّرتُ.

قالت وهي تقرص خدي بلطافة: "لكن المنظر مذهل." مكتبة سُر مَن قرأ

واجهنا المزيد من الدرجات الحادة والمنحدرات الشديدة. لم يكن هناك الكثير من المعالم، سوى متجر صغير واستراحة يتيمة. أما الباقي فكان نُزُلاً جبلية أو مساكن خاصة.

كلما مرّ أحد منحدرًا من الأعلى، حيّانا بابتسامة "مرحبًا!"، وكنا أنا وموموكو نردّ التحية بحماسة مماثلة: "مرحبًا!"

غالبية المتنزهين كانوا من كبار السن، لكن رأينا أيضًا بعض الأزواج الشباب، ومجموعات كبيرة بدت كأنها من طلاب الجامعات. خفّ توتري قليلًا حين لاحظت أن معظمهم كانوا يرتدون ملابس بسيطة مثلي.

وأخيرًا، بدا لنا نُزُلنا من بعيد. كنت منهكة تمامًا في تلك اللحظة، حتى موموكو بدت وكأن التعب بدأ ينال منها. قالت وهي تلتقط أنفاسها وتمسح العرق عن جبينها بمنشفة: "لقد وصلنا، أخيرًا."

كان المبنى الخشبي يبدو مهترئًا إلى حدٍّ ما، مكوّنًا من ثلاثة طوابق متصلة على ما يبدو بمنزل سكني. من الخلف، كان متلاصقًا بجدارٍ صخري. في الفناء الواسع أمامه، كانت هناك آلة حراثة صدئة، ودراجة قديمة، وبعض الحطب المكدس بعشوائية. المكان كان مأهولًا، لكنه يوحي بالبِلى. لو أردنا وصفه بلطافة لقلنا إنه

"بسيط"، لكن في الحقيقة، كان أقرب إلى أن يُوصف بأنه "مهترئ." مع ذلك، لم أستطع أن أتخيّل موموكو تقيم في نُزُل أنيق، لذا قلت في نفسي: هذا يناسبها تمامًا.

فتحت موموكو الباب ونادت: "هل يوجد أحد هنا؟"

بعد لحظات، سمعنا وقع خطوات سريعة في الردهة، وظهرت فتاة شابة. كانت ترتدي سروال جينز واسعًا وسترة بدت وكأنها استعارتها من شخص أطول منها بكثير. بدت في العشرين من عمرها تقريبًا.

نظرت الفتاة إلى موموكو وتحدثت معها بصراحة لافتة لم تكن لتظن أنها موجهة لزائرة.

"مرحبًا، هل هذه أنتِ يا موموكو؟"

أجابت موموكو بابتسامة:

"مر وقت طويل، هارو. كيف حالك؟"

"ومن هذه؟ ابنتك؟ لحظة، هل لديكِ أطفال؟"

تدخلت سريعًا قبل أن تسبقها موموكو وتقول شيئًا غير دقيق: "أنا قريبتها، تاكاكو."

رغم مظهرها الجاف، لم تبدُ هارو شريرة أو فظة بطبيعتها. قالت لي وهي تنحني بخفة: "تشرفت بلقائكِ."

ثم سمعنا خطوات تقترب من الداخل مجددًا، وظهرت امرأة في منتصف العمر، خمسينية، تمشي بخطى هادئة. كانت ترتدي مئزرًا منزليًا وقد لفت وشاحًا على رأسها. "أوه، مومكو! وصلتِ باكرًا،" رحّبت بها بابتسامة حنونة.

رغم لهجتها السريعة والحاسمة، كان واضحًا من نبرتها أنها امرأة تحب العناية بالآخرين.

انحنت لها مومكو بتحية مهذبة وقالت: "سررت بلقائكِ مجددًا."

فهمت فورًا أنها صاحبة النُزل.

سألتها هارو مندهشة: "مومكو، هل ستعملين هنا من جديد؟"

لكن صاحبة النُزل تدخلت قائلة: "لا، هارو، مومكو جاءت كضيفة هذه المرة."

"أوه، فعلًا؟"

لمحت مومكو دهشتي من الحوار، فاقتربت وهمست في أذني: "حين تركت منزل ساتورو، جئت إلى هنا لفترة. صاحبة النُزل منحتني عملًا."

رفعت صوتي بدهشة: "ماذا؟ كيف حصل ذلك؟"

أجابت بلا اهتمام: "ببساطة."

قادَتنا صاحبة النُزل إلى غرفتنا. لم تكن الساعة قد تجاوزت الثانية بعد الظهر، فكنا أول الواصلين لذلك اليوم. وكان النُزل من الداخل فوضويًا تمامًا كما بدا من الخارج. في الممر، رأيت حوض سمك فارغًا، كومة من المجلات القديمة، تلفازًا قديم الطراز، وجيتارًا مهملًا على الأرض. نظرة خاطفة على المطبخ أظهرت لي فوضى

عارمة، ولم تكن الحمّامات والمغاسل أفضل حالًا. بدا المكان كأنّه سكن طلابي أكثر من كونه نُزُلًا جبليًا. ربّما كان وجهته المفضلة للطلاب في العطلة الصيفية. لم أكن أعلم إن كانت جميع نُزُل الجبال هكذا، لكن هذا المكان كان بعيدًا تمامًا عن الأجواء الرسمية. أعطتنا غرفة في الزاوية البعيدة للمبنى، وقالت إنها الأجمل من حيث الإطلالة. كانت بمساحة عشر حصائر تاتامي تقريبًا—مساحة مناسبة تمامًا لنا نحن الاثنتين.

من النافذة، امتدّت أمامنا غابة خضراء كثيفة. كانت الأوراق تتمايل برفق مع نسيم الجبل، وبين حين وآخر، كنا نسمع زقزقة طائر، ربما شحرور. في الأفق، بدت الجبال وكأنها تذوب في الضباب، وفوقها كانت الغيوم الصغيرة المنتشرة عبر السماء بلونها الأزرق الفيروزي تشبه أسراب أسماك تسبح في الأفق. حدقت في المشهد حتى شعرت أن الزمن قد توقف.

جلست إلى جانب النافذة، أراقب في صمت. وكانت مومو‌كو تجلس إلى جواري، هادئة على غير عادتها، تحدق في الأفق بصمت. خمنت أنها ربما كانت تشعر بنفس ما شعرت به. وحين تخيلت كيف تكون الحياة هنا، بين الجبال والهدوء، فوجئتُ بنفسي وأنا أفكر أنني قد أحب هذا المكان حقًا.

بعد ذلك، سُمع طرقٌ قوي على الباب، ودخلت هارو الجو أصبح باردًا بالفعل في الليل، قالت وهي تحمل موقدًا ثقيلًا في كلتا يديها. وضعته بصوت مكتوم في زاوية الغرفة.

"شكرًا" قلتُ.

"نعم، استمتعا!" ردّت وهي تخرج، بنبرة أقرب إلى نادلة في حانة.

"مومو‌كو، كم من الوقت عملتِ هنا؟" سألتُها.

مالت برأسها إلى أحد الجانبين لتفكر، ثم قالت: "حوالي ثلاث سنوات، أعتقد."

"وماذا فعلتِ بعد ذلك؟"

"حسنًا، كل أنواع الأشياء. يمكن للناس العيش في أي مكان إذا عزموا على ذلك." كان هذا صحيحًا تمامًا في حالتها. بدت قوية بما يكفي للعيش في أي مكان. "حسنًا،" قالت وهي تنهض على قدميها. "هل نخرج قليلًا قبل العشاء؟"

قررنا تأجيل التنزه الحقيقي لليوم التالي، لذا قررنا زيارة الضريح على الجبل وتقديم احترامنا هناك. قالت مومو‌كو إن الضريح قريبًا جدًا من النُزُل، على مسافة رمية حجر، ولن يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق للوصول إليه. عندما مررنا بالزاوية الصغيرة حيث يقع متجر الهدايا البسيط والمطعم، ظهرت أمامنا بوابة التوري الضخمة الخاصة بالضريح. انحينا تحيةً عند البوابة، وتبعنا مجموعة من الناس إلى الداخل. كان الضريح أجمل مما توقعت. مررنا بمزار تلو الآخر، وخلف كل واحد كنز أثري. على الطريق المؤدي إلى الضريح الرئيسي، كانت هناك عشرات المعالم الحجرية مصطفة بجانب بعضها البعض. قرأت لافتة تشرح تاريخه، وذكرت أن الضريح الأصلي قد بُني في هذا الموقع قبل أكثر من 1200 عام، خلال فترة نارا. منذ العصور الوسطى، كان هذا المكان يُعتبر أحد الجبال المقدسة في المنطقة، وكان المصلّون يتوافدون إليه منذ قرون.

شعرتُ بصدمة عندما اكتشفتُ أنه موجود منذ فترة طويلة جدًا. لمئات السنين، قام الكثيرون بنفس الرحلة لزيارة هذا الضريح.

لم تكن هناك وسائل نقل في ذلك الوقت، لذا لا بد أن الرحلة استغرقت أيامًا أو حتى أسابيع. ربما كان الأمر يعني لهم أكثر مما يعنيه لنا اليوم. شعرتُ بالتواضع بسبب قلة إيماني.

صعدنا الدرجات الحجرية الحادة للوصول إلى الضريح الرئيسي. على طول الطريق، كانت زهور الجنطيانا البرية البنفسجية تتفتح. كانت الدرجات تبدو وكأنها لا تنتهي، وكافحنا للوصول إلى القمة. كان السياح الآخرون يلهثون بصعوبة أثناء تسلقهم السلالم. عندما وقفنا أخيرًا أمام قاعة العبادة، كنت ألهث محاولًا التقاط أنفاسي.

تماسكتُ مع نفسي، وألقينا قطع النقود في صندوق التبرعات، ثم ضممنا أيدينا معًا في الصلاة.

نظرتُ إلى موموكو عندما انتهيت، لكنها كانت لا تزال تصلي. كانت ملامحها تحمل تعبيرًا جادًا للغاية.

وعندما فتحت عينيها أخيرًا، سألتها" :بماذا كنتِ تدعين؟"

"لا شيء."

"لكن بدا أنكِ تصلين بتركيز شديد."

الضريح ليس مكانًا تدعو فيه من أجل شيء. إنه مكان تعبّر فيه عن امتنانك.

إنه لأجل أن تقول للآلهة، شكرًا لك على رعايتك لي دائمًا.

"أوه، حسنًا، لقد طلبتُ شيئًا، حسنًا، بشيءٍ من الإلحاح."

"وماذا طلبتِ؟"

"كما تعلمين، صحة جيدة، وأن لا أفلس."

ضحكت مومو‌كو، وكأن ذلك بدا وكأنه شيء أطلبه أنا. قمنا بجولة في أرجاء الضريح لإلقاء نظرة حولنا.

ثم قالت: "عندما تركتُ ساتورو لأول مرة، انتهى بي المطاف عند هذا الضريح. لم يكن لدي مكان أذهب إليه، لذا سألتُ صاحبة النُزُل إن كان بإمكاني العيش والعمل هنا. وصادف أنها كانت بحاجة ماسّة للمساعدة آنذاك. كانت قد فقدت زوجها مؤخرًا، ولم تكن هارو هنا بعد. مع ذلك، أن توظّف امرأة غريبة في منتصف عمرها... كان ذلك لطفًا يفوق التوقع."

راقبتُها وهي تتحدث عن نفسها بصيغة الغائب، وشعرتُ بإعجاب غريب نحوها. قبل مغادرتنا، وقفنا أمام الضريح الرئيس وانحنينا معًا مرة أخرى. كان المبنى يتلألأ تحت ضوء الشمس الغاربة، مشعًا بجماله الساكن. ثم عدنا نزولًا على الطريق الحجري المؤدي إلى النُزُل.

استحممتُ لأغسل آثار التعب والعرق عن جسدي. وعندما تمددتُ على الفراش بانتظار مومو‌كو لتخرج من الحمام، غلبني النعاس مجددًا. وحين أيقظتني، كان وقت العشاء قد فات بالفعل. خلال نومي، كان ضيفان آخران قد وصلا إلى النُزُل.

اجتمع الجميع لاحقًا في قاعة الطعام. كانت إحدى المجموعتين عائلة من ثلاثة أجيال، أما الأخرى، فكانت لرجلين في منتصف العمر بدا أنهما احتسيا بعض الكحول مسبقًا.

وحين دخلنا، صاح أحدهما بصوت عالٍ: "آه، آسفون! بدأنا الأكل من دونكم!" كانت أصواتهما مرتفعة على نحو مزعج، لكن الأجواء كانت مريحة. كان العشاء وفيرًا بشكل مدهش. لم تتوقف صاحبة النُزُل عن تقديم الأطباق واحدًا تلو الآخر: أطباق مطهية على نار هادئة، فول الصويا المخمر، مخللات البصل الأخضر، كيمتشي... عشرات من الأطباق الجانبية الصغيرة. حتى أنها أعدت لنا وعاءً من الحساء الساخن وتيمبورا. لكن أكثر ما أحببته كان سمك الآيو المشوي والمغطى بصلصة الميسو. بعد تناوله مع الأرز وحساء الميسو، شعرت بالشبع الكامل، فأعطيت الحساء والتيمبورا للرجال.

أجواء قاعة الطعام بدت احتفالية بشكل غير معتاد. أخبرنا الرجلان، وهما من محبي تسلق الجبال، أنهما زارا هذا الجبل مرارًا. رغم ضعف بصرهما، كانا متحمسَين لمشاركة نصائحهما عن الأماكن التي تستحق الزيارة. تمنيت لو كنت أستطيع رؤية المروج التي تزهر فيها البنفسج البري والأنيمون الكاذب، لكن الموسم كان قد مضى.

قالت العائلة الأخرى إنهم خرجوا في هذه الرحلة القصيرة فقط ليقضوا بعض الوقت معًا قبل زفاف الحفيد. وكانت الجدة، التي لم يتفقوا تمامًا على عمرها، تتراوح بين 87 و89 عامًا، على حد قولهم. اضطروا لدفع كرسيها المتحرك على الطريق الجبلي الوعر من محطة القطار المائل إلى النُزُل.

قالت الجدة بهدوء:

"هذه ستكون رحلتي الأخيرة".

فأجابت مومكو بابتسامة مشرقة وإصرار حنون: "ماذا تقولين! لا زلتِ شابة! أمامكِ الكثير من الرحلات بعد!"

وعندما صعدت المجموعتان إلى غرفهما في الطابق العلوي، جلست مومكو تتحدث مطولًا مع صاحبة النُزُل. أما أنا، فانسحبت بهدوء إلى غرفتنا.

عندما عدتُ إلى الغرفة، فكرتُ في كيف كانت مومكو طوال اليوم، واستنتجتُ أن كل مخاوفي بشأن الرحلة كانت في رأسي فقط. بدت سعيدة للغاية. كانت هي نفس الشخص المرح الذي عهدته دائمًا. ربما كانت تشعر بالحنين إلى المكان الذي اعتادت العمل فيه.

لقد وصلتُ إلى هنا وأنا أحمل فكرة خاطئة عن الرحلة، تمامًا كما فعلت مع *هيديأكي*. كنتُ دائمًا الشخص الذي يستغرق وقتًا طويلًا في فهم الأشياء. لكن ربما لم يكن ذلك مهمًا. كنتُ أستمتع الآن، وهذا ما كنتُ أفكر فيه بينما كنتُ أنتظر مومكو. عندما عادت مومكو إلى الغرفة، قالت: "لدينا صباحٌ باكر غدًا. هيا إلى النوم." ثم زحفت تحت الأغطية بسرعة.

لكن بما أنني كنت قد أخذت قيلولتين في ذلك اليوم، لم أتمكن من النوم بسهولة. غرقت مومكو في النوم خلال ثلاث دقائق. كنت أسمع أنفاسها المنتظمة، مع شخيرٍ خفيف متقطع. وبينما كنت مستلقية هناك، شعرت بالندم لأنني نسيت كتابي في سافور. لكن الندم لن يفيد الآن.

وفجأة، قفزت صورة وادا إلى ذهني. تساءلت عما إذا كان نائمًا الآن، كما ينبغي له أن يكون. وها أنا هنا، أمضي ليلة بلا نوم في مكان غريب. قد لا نكون بعيدتين عن المنزل، لكنني شعرت بالوحدة. كنت أفتقده فعلًا. ربما كان عليّ أن أطلب

رقمه. الآن، ربما لن أراه مجددًا. لم يعد هناك سبب لذهابه إلى المقهى. مؤلم أن أفكر أن الفرصة ربما ضاعت، وكل ما تبقّى هو الندم.

وكلما فكرت بالأمر أكثر، ازددتُ يقظة. فنهضت بهدوء من فراشي، وتسللت خارج الغرفة. بدا أن الجميع قد ذهبوا إلى النوم. لكن ضوءًا خافتًا كان يتسلل من الباب المنزلق للغرفة الصغيرة في نهاية الرواق. مشيت على أطراف أصابعي ونظرت إلى الداخل. كانت هارو جالسة القرفصاء أمام مكتب، تحدق بتركيز في شاشة كمبيوتر، ملامح وجهها مشدودة بحدة، تمامًا كما بدت مومو كو عندما كانت تصلي في الضريح.

وعندما حاولت أن أنسحب بهدوء، التفتت نحوي فجأة وقالت بدهشة: "ماذا هناك؟ هل حدث شيء؟"

"لم أتمكن من النوم فقط،" أجبتها.

قالت: "في هذه الحالة، ربما عليك الخروج لتمشية. الليلة صافية، والنجوم رائعة." ثم أشارت برأسها نحو المدخل.

قلت: "ربما سأفعل."

لكن قبل أن أصل إلى الباب، سمعتها تقول:

"انتظري لحظة. الجو مظلم تمامًا هناك. من الخطر أن تخرج فتاة بمفردها." لحقت بي هارو، تحمل مصباحًا يدويًا صغيرًا. فتحنا الباب الأمامي بهدوء وخرجنا إلى الباحة. وبسبب الارتفاع، كان بإمكاننا رؤية أنفاسنا رغم أننا ما زلنا في منتصف أكتوبر. وعندما رفعت بصري نحو السماء، كانت النجوم تبدو أقرب

بكثير مما هي في المدينة. كوكبات الشتاء ظهرت واضحة فوق الجبال المظلمة الممتدة.

سرنا ببطء باتجاه الضريح. لم تكن هناك أضواء في أي من الغرف، فقد خلد الجميع للنوم. الصوت الوحيد الذي سُمع هو وقع خطواتنا فوق الحجارة.

قلت: "آسفة لأنني جررتكِ معي."

لا بأس، كنت فقط أشاهد شيئًا على الإنترنت،" ردت هارو.

أخرجت من جيبها سيجارة وأشعلتها، ثم وقفت تنفث الدخان بهدوء في الليل البارد.

سألتها: "متى بدأتِ العمل هنا، هارو؟"

"منذ أن تخرجت من الثانوية. صاحبة النُزُل من أقاربي."

"حقًا؟"

"معظم العاملين هنا من العائلة. وإلا فطلاب الثانوية المحليون يعملون في العطل. لكن أشخاصًا مثل مومو‌كو نادرون جدًا."

"هل تحبين العمل هنا؟"

"صعب أقول. ما جربت شي غيره. المكان يصير نشط وقت الإجازات. لكن في مثل هذا الوقت من السنة، الجو يخيّم عليه نوع من الوحدة".

ثم التفتت إليّ وسألت بنبرة خافتة، دون اهتمام واضح بالإجابة:

"لماذا تسافران معًا؟ لا تبدوان قريبتين جداً."

قلت: "بصراحة، لست متأكدة. قبل أن نغادر، أحسست أنها تريد إخباري بشيء، لكن الآن أعتقد أنني كنت أتوهم ذلك فقط."

قالت: "هممم... الآن بعد أن ذكرتِ ذلك، عندما كانت تعمل هنا، كانت أكثر كآبة بكثير. رؤيتها الآن، شعرتُ بالدهشة من مدى تغيرها."

"حقًا؟"

" نعم. في أيامها الأخيرة هنا، ربما أصبحت أكثر حيوية، لكن عندما بدأت العمل هنا لأول مرة، بالكاد كانت تتحدث. لقد أخافتني نوعًا ما."

حاولتُ تخيّل موموكو بهذه الطريقة، لكنني حقًا لم أستطع.

"لا أفهم ذلك، على ما أعتقد،" قالت، ثم ألقت سيجارتها في منفضة السجائر المثبتة أمام بوابة الضريح.

في تلك اللحظة، انطلقت نجمة شهاب عبر السماء الليلية واختفت. عندها، أطلقت هارو عطسةً مدوية واحدة.

"هل يجب أن نعود؟" سألتُها.

تنشقت هارو أنفها وقالت: "بالتأكيد."

8

في صباح اليوم التالي، لم أتمكن من جمع الطاقة اللازمة لأخرج من تحت بطانية الفوتون. بقيتُ مستلقية هناك بتكاسل، وعندما حاولت مومو كو أن تنتزع الغطاء عني عدة مرات، تمسكت به بكل قوتي ورفضت الاستسلام.

لم أخرج من السرير إلا بعد الساعة التاسعة صباحًا. غسلت وجهي، وبدأت أتجول في أرجاء النُزُل بحثًا عنها.

"يبدو أنها في الفناء،" قالت لي صاحبة النُزُل، محاولة كتم ضحكتها.

وحين خرجتُ، وجدتها واقفة وسط الفناء، تغمرها أشعة الصباح. كانت لا تزال ترتدي اليوكاتا من الليلة السابقة، لكنها كانت تقف في وضعية غريبة.

"ما الذي تفعلينه؟" سألتها.

"تاي تشي،" أجابت. أخبرتني أنها تمارسها كروتين صباحي منذ سنوات. "إنها جيدة جدًا للصحة وتجعلك تشعرين بالانتعاش. هل تودين تجربتها معي، أيتها الكسولة؟"

هل كانت تفعل ذلك كل صباح أيضًا أمام متجر الكتب؟ تخيّلت مشهد امرأة في منتصف العمر تمارس التاي تشي أمام متجر كتب مستعملة، يتوقف رجال الأعمال في طريقهم إلى العمل مذهولين. فكرة ذلك جعلتني أكاد أضحك.

بعد الإفطار، انطلقتُ أنا ومومكو أخيرًا في رحلتنا الجبلية. كنتُ مستعدة تمامًا هذه المرة، مرتدية ملابس مريحة مناسبة للمشي. بدا أن كل الضيوف الآخرين قد بدأوا رحلتهم منذ وقت طويل. وعندما أخبرتها أن لدينا متسعًا من الوقت، التفتت إليّ بنظرة باردة.

وبينما كنا نغادر النُزُل، نادت علينا صاحبة النُزُل من بعيد: "أراكما قريبًا"!

إذا اجتزنا جبلين في الطريق، سنصل إلى نقطة مرتفعة توفر منظرًا خلابًا. ذلك هو المكان الذي كنا نقصده.

كان الجو نقيًا وباردًا بين الجبال. كنا محاطتين بأشجار الأرز، بعضها كان أطول مني بخمس مرات. وعندما توقفتُ للتأمل في بعض الأزهار البرية الجميلة التي نبتت هنا وهناك، كانت مومكو تشير إلى كل زهرة وتذكر اسمها. رغم أنها لم تعش هنا إلا بضع سنوات، إلا أنها كانت تعرف الكثير عن الحياة الجبلية. أما أنا، فلم أذهب في رحلة جبلية منذ البرنامج الصيفي في المرحلة المتوسطة. لقد كان من الممتع أن أمشي بصحبة شخص يعرف المكان جيدًا. على الأقل، لم يكن لدي ما أخشاه من أن أضيع.

شعرتُ فجأة بنوع من الحماسة، فبدأت أغني أغنية من أغاني الرحلات المدرسية، "الدب في الغابة."

لكن ذلك لم يكن سوى بداية الرحلة.

فبعدها، لم أعد أغني شيئًا على الإطلاق.

فالطريق، الذي بدأ مستويًا وواسعًا، ما لبث أن ضاق وتدرّج في انحداره. وكأنه يهمس لي بتحذير: "هذا الجبل لا يعرف المزاح!"

لم يمر وقت طويل حتى بدأت الأرض تصبح زلقة وخطِرة، وصار العثور على موطئ قدم ثابت مهمة صعبة. شعرت أنه لو غفلت لحظة، فقد تسحبني الأرض إلى هاوية لا نهاية لها. قبل لحظات فقط، كنت أصدح بسعادة: "وهذا ما قاله الدب"، وها أنا الآن أجد نفسي أتعثر بصمت بين الأشجار، وكأنني في متاهة صخرية بلا مخرج.

أما موموكو، فلم يُظهر الأمر لها أدنى مشقة. كانت تمضي قدمًا بخفة وخطى رشيقة، غير مبالية بتوسلاتي. وعندما كانت المسافة بيننا تتسع، كانت تتوقف وتلتفت إليّ، تنتظرني أن أزحف لألحق بها.

"مهلًا، أيتها القائدة الجبلية، هلّا تمهّلتِ قليلاً؟" تمتمت وأنا ألهث، بعد أن اجتزنا صخرة ضخمة تُعرف باسم "صخرة التينغو"، لأن شكلها يشبه المخلوق الأسطوري ذو الأنف الطويل.

رمقتني بنظرة جانبية وقالت بلهجة صارمة: "ألا تعلمين من المسؤول عن تأخرنا؟ إن لم نسرع الآن، فسوف تغرب الشمس ونحن لا نزال عالقات في هذا الجبل. وحينها، ستكتشفين كم يكون الظلام مرعبًا هنا."

لم أستطع الرد. فقط تابعت بصمت وأنا ألتقط أنفاسي بصعوبة.

قالت، وكأنها تمنحني جرعة صغيرة من العزاء: "سنأخذ استراحة قصيرة قريبًا. تحمّلي فقط قليلًا."

وقبل أن تدق الساعة الثانية، توقفنا أخيرًا للراحة بجانب جدول جبليّ صافي المياه. جلسنا على صخرة، واقتسمنا كرات الأونيغيري التي أعدّتها لنا صاحبة النُزُل— واحدة لي وواحدة لها. كان صوت خرير الماء المتدفق ينساب برقة تحت أشعة الشمس التي تغلغلت بين أغصان الأشجار. حاولتُ أن أتنفس بعمق، أملأ رئتيّ بذلك الهواء النقي، لأهدّئ الخفقان العنيف في صدري. إلى جانبي، كانت موموكو تبدو في قمة السكون، تقضم بهدوء كرتها من الأرز ووجهها مرتاح كمن وجد ضالته.

قلت وأنا أحدّق بها بإعجاب: "موموكو، تبدين في لياقة مذهلة."

ضحكت وقالت: "وأنتِ، يا فتاة شابة، لياقتكِ البدنية مثيرة للشفقة."

ضحكتُ معها، وقلت مازحة: "يبدو أنك ستظلين شابة ونشيطة حتى تصيرين مثل تلك الجدة التي التقينا بها في النُزُل."

ضحكت موموكو ضحكة هادئة. ثم قالت بنبرة مختلفة:

"بصراحة؟ لا أظن الأمور ستسير بهذه الطريقة. أنا مريضة. وسرعان ما سيبدأ جسدي بالانهيار."

"ماذا؟!" نظرتُ إليها مذهولة.

لكنها قطعت الحديث فجأة، ووقفت تمسح يديها، وقالت بنبرة مرحة: "حسنًا، انتهت الاستراحة. بقي القليل فقط ونصل."

مريضة؟ كيف يمكن أن تكون موموكو مريضة؟ لم تكن هناك أي علامة على ذلك... كانت تتحرك بخفة وابتسامتها لم تفارق وجهها.

نظرت خلفها، رأتني ما زلت واقفة متجمدة مكاني، فصرخت: "إن لم تتحركي الآن، سأتركِكِ هنا!"

من بعيد، بدت صغيرة للغاية—لكني اندفعت للحاق بها، بقوة لا أعرف من أين أتت.

بعد ذلك، ركزنا انتباهنا على التسلق بالكاد تبادلنا أي كلمة.

عند نقطة معينة، نزلنا منحدرًا وعرًا لا يوجد عليه سوى الصخور العارية، ثم لففنا حول منتصف الجبل، وصعدنا منحدرًا آخر. كنا نصعد ونهبط، مرارًا وتكرارًا، على طول طريقنا. قدماي المسكينتان كانتا تصرخان من الألم.

ثم فجأة، انفتح الأفق أمامنا، وبدا قمة الجبل في الأفق. على القمة، كان هناك منصة مراقبة بدت وكأنها كاستر بودينغ جالس على طبق. تناثرت حولها بعض أشجار الصنوبر، ممتدة عبر مساحة من الأرض البنية المحمرة. أمامنا، كان هناك منحدر حاد يؤدي إلى حافة الجرف. الزائر الوحيد الآخر كان رجلًا في منتصف العمر، جالسًا على مقعد مثبّت عند الحافة.

كان كل شيء هادئًا تمامًا. جلسنا معًا على المقعد المقابل للرجل. كانت النسائم العليلة تهب مباشرة نحونا، تبرد عضلاتنا المتعبة.

منظر القمة كان مذهلًا بالفعل. كنا محاطين باللون الأخضر أينما نظرنا. في كل اتجاه، كانت القمم الجبلية تتراكم بجانب بعضها البعض. أما السماء، فبدت

قريبة بشكل لا يُصدق. كانت واسعة بلا نهاية، وصافية تمامًا. إذا أطلتُ النظر إليها، شعرتُ وكأنها قد تبتلعني بالكامل.

عندما أغمضتُ عيني، تمكنتُ بالكاد من تمييز مدينة طوكيو في البعيد. كانت صغيرة جدًا، مجرد بقعة ضئيلة في الأفق. حاولتُ أن أتخيّل أنني غدًا سأعود إلى حياتي في تلك البقعة الصغيرة، لكن هنا، في هذا الجبل، لم أستطع تصديق أن الحياة هناك حقيقية.

ألن يكون من الأفضل البقاء هنا والعيش هكذا؟ هكذا شعرت. وتساءلتُ إن كانت موموكو قد فكرت بنفس الأمر عندما جاءت إلى هنا لأول مرة.

"موموكو؟"

"نعم؟"

"ما الذي دفعكِ لترك ساتورو؟"

لم أسألها لأن عمي أراد ذلك.

كنت أرغب أن أسألها بنفسي. وهذه المرة، شعرت أنها قد تجيب حقًا.

"هممم..." أومأت برأسها قليلًا، وعيناها معلقتان في الأفق بصمت. انتظرتُ بصبر أن تتكلم، ووجهتُ نظري إلى الأمام مثلها، دون أن أنطق بشيء. فوق رؤوسنا، حلق طائر السنونو في السماء الصافية، دون أن يصدر أي صوت.

"أخبرتك عن الرجل الذي أحببته منذ وقت طويل، أليس كذلك؟"

"نعم."

"عندما كنتُ معه، حملت بطفل. كنت أتوق بشدة لتكوين عائلة، وعندما اكتشفت حملي، شعرت بسعادة لم أختبر مثلها من قبل. لكن تلك السعادة لم تكن متبادلة. لم يفرح كما فعلت أنا... لأنه، كما تبيّن، كان متزوجًا. وكان لديه طفل يعيش في اليابان. ولم أعلم بذلك إلا بعد فوات الأوان."

هبّت نسمة قوية، رفعت الغبار في الهواء، ثم هدأ كل شيء فجأة كما بدأ.

"لو كنتُ أقوى حينها، ربما كنتُ أنقذت ذلك الطفل. لكنني لم أكن كذلك. لم أملك الشجاعة للسعي خلف سعادتي على حساب ألم شخص آخر، ولا القدرة على تحمّل الثمن والمضي قدمًا. وعندما انتهى كل شيء، شعرت بندم قاتل. أردت أن أختفي، أردت الموت. لكن في تلك المرحلة، كان الأوان قد فات." تنهدت، وارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة.

"ثم التقيتُ ساتورو. تزوجنا. كان يتوق بشدة لإنجاب الأطفال. لكننا لم نُرزق. وبعد عشر سنوات، حملت أخيرًا. كان سعيدًا حد البكاء. وأنا أيضًا.

شعرتُ كأننا انتصرنا أخيرًا. لكن الطفل مات في أحشائي قبل أن يُولد. شعرتُ وكأنني أُعاقَب. وكأنني أدفع ثمن خطيئتي الأولى. وكأنني لا أستحق فرصة جديدة."

"ساتورو حاول بكل ما لديه أن يواسيني. أعلم كم كان الأمر صعبًا عليه. إنه رجل طيب، كما تعلمين، أليس كذلك يا تاكاكو؟"

أومأتُ بصمت.

"مع الوقت، بدأت أستعيد توازني. عملنا سويًا لإعادة إحياء مكتبة موريساكي. كان ساتورو حذرًا، لم يأتِ على ذكر الطفل مرة أخرى. غمر نفسه بالعمل، يومًا بعد يوم. وأنا، كنت أحب ذلك المكان... وأردت أن أصدّق أنني قادرة على مبادلته الحب الذي منحه لي. لكن الحقيقة؟ لم يكن ذلك كافيًا."

"الألم لم يختفِ. لم يقلّ مع مرور الوقت، بل كبر بداخلي. شعرت وكأنني أعيش وبداخلي فراغ لا قاع له. كل يوم، كانت تلك الهوة تتسع أكثر. وبدأت أؤمن بأن بقائي إلى جانبه، بينما قلبي يتآكل بصمت، هو خيانة له. وفي أحد الأيام، استيقظت فقط... وعرفت إلى أي مدى تخلّيت عن نفسي."

أطلقت تنهيدة عميقة، وكأنها كانت تحبس كل ذلك بداخلها منذ وقت طويل.

"إذا أراد أن يعتبرني أنانية، فليكن. لا يمكنني أن أجادله في ذلك. ولهذا السبب خفتُ من مواجهته. وأظنكِ أنتِ أيضًا تشعرين بالحيرة."

لم أجد ما أقول. لم أملك شيئًا في حياتي يمكن مقارنته بما مرت به. شعرتُ فقط بثقل الألم الذي حملته طوال هذا الوقت. أمام هذا كله، بدت أي كلمة ممكنة... بلا معنى.

جلستُ بجانبها بصمت، فقط أومأت برأسي مواسية.

بعد لحظة، نهضت مومو كو ببطء، تمسح يديها على سروالها. "آسفة إن كنت قد أثقلتُ عليكِ بكل هذا. علينا العودة."

لاحظت حينها أن ضوء الشمس بدأ يخبو على حافة الجبل البعيد.

في طريق العودة من القمة، كانت خطوات مومو كو أسرع مني بكثير. كانت تسير بصمت، كأن شيئًا في داخلها قد تحرر. أما أنا، فقد كنتُ غارقة في التفكير، مشتتة، متعثرة. تعثرت أكثر من مرة، وسقطت على الصخور دون أن أصرخ. فقط كنتُ أشعر بالإنهاك.

وعندما عدنا إلى النُزُل، كنت بالكاد أستطيع الوقوف. الظلام بدأ يغمر المكان، وبدأ المطر يتساقط بهدوء. تبقى على موعد العشاء ساعة، فتوجهنا مباشرة إلى الحمام.

انغمست في الماء الساخن طويلًا، أحدق في السقف، جسدي يرتخي وعقلي مشوش. كان يومًا طويلًا. وعندما التفتُّ إلى النافذة، لم أرَ سوى ظلامٍ عميق. كان البخار الأبيض يرتفع من الماء، كأنه يصعد إلى السماء، ثم يختفي في حضن الليل.

فجأة، سُمع صوت باب يُفتح بقوة، فاستدرتُ مندهشة. وسط الضباب المتصاعد، ظهرت مومو كو، واقفة بلا حراك، بلا ملابس. مجردة من ثيابها، بدت أصغر حجمًا مما اعتدت أن أراها.

"هل يمكنني الدخول؟"

"آه... طبعًا... تفضلي..." بالكاد خرجت الكلمات من فمي، لكنها لم تنتظر الرد، ودخلت بكل هدوء.

جلست إلى جواري، وتفحّصتني بنظرة هادئة، ثم قالت: "بشرتك ناعمة جدًا يا تاكاكو. تبدين صغيرة للغاية."

استدرت فورًا لأتفادى نظراتها. "لستُ صغيرة إلى ذلك الحد."

"لا، لا، ما زال أمامك الكثير. انظري إلى هذا الانحناء الجميل من رقبتك إلى صدرك. كل تلك التفاصيل، مع مرور الوقت... تبدأ بالتلاشي. أما بشرتك الآن، فهي ناعمة ونضرة. أنا أغار منك." قالتها وهي تبتسم بخفة.

علّقتُ بجفاف: "هذا يُعتبر تحرشًا، بالمناسبة."

ضحكت، وضحكتها ارتدت في جدران الحمام الحجرية. "لا تقلقي، تاكاكو."

حين دخلت، لاحظت الندبة الجراحية الممتدة بطول يقارب عشرة سنتيمترات على بطنها. لم تحاول إخفاءها، لكنها بدت كأثر صامت على وجدانها. أشحتُ ببصري عنها، متذكرة حديثها السابق عن الفراغ الذي ظلّ يسكنها. رغبت بالكلام، لكن الكلمات خانتني.

بعد أن غسلت جسدها، انزلقت إلى الماء إلى جانبي، وأغمضت عينيها بتنهيدة ارتياح. "آه... شعور رائع."

نظرتُ إلى جانب وجهها، وشعرتُ فجأة برغبة شديدة أن أضمّها إليّ.

"ما هذا؟" قلت، مشيرة إلى النافذة.

بدت شاردة الذهن، فاستغللت اللحظة وقفزت نحوها. لكن موموكو كانت أسرع مما ظننت، فتراجعت برشاقة إلى الطرف الآخر من الحمام.

"ما الذي تفعلينه؟" صاحت بدهشة. "لا شيء." أجبت، وأنا أرش الماء نحوها وأقترب خطوة بخطوة، كأنني كلب راعٍ يطارد خروفًا شاردًا.

قالت وهي تتراجع: "ما بك يا تاكاكو؟ عيناك غريبتان." تجاهلت نبرتها، واندفعتُ نحوها فجأة. أغمضت عينيّ وأحطتها بذراعيّ، احتضنتها بقوة. كان كتفاها صغيرين ودافئين، أضعف مما تخيلت.

"تاكاكو... ما الذي تفعلينه؟" همست وهي تحاول الإفلات. تناثر الماء في كل الاتجاهات، وارتفعت الأمواج على سطح الحمام، لكنني لم أتركها. ثم، شيئًا فشيئًا، استسلمت. خفّت مقاومتها، وأسندت رأسها على كتفي.

"أستسلم. لم أكن أعلم أن هذا ما أردتِه، تاكاكو." قالتها هامسة.

"كنتِ مشتتة الذهن."

ضحكنا سويًا، وظللنا هكذا لفترة طويلة، على طرف الحمام، متشابكتين، صامتتين، وسط دفء الماء وضباب المساء.

9

كانت ليلتنا الثانية أهدأ بكثير من الأولى. الضيوف الذين التقيناهم الليلة الماضية قد عادوا بالفعل إلى أسفل الجبل. وحلّ محلهم رجل وامرأة بديا وكأنهما قد وصلا لتوهما ذلك اليوم. كانا يتحدثان بهدوء أثناء العشاء، فوجدت نفسي أكره وجودهما. لماذا اختارا المجيء إلى دار ضيافة مثل هذه؟ كان عليهما أن يكونا في أحد تلك النُزل الينابيع الساخنة، حيث يمكنهما فعل ما يريدان مع الحفاظ على سرية علاقتهما.

دخلت صاحبة النُزل حاملة صينية تقديم، وقامت بتشغيل التلفزيون العتيق الموضوع وسط الغرفة بطريقة متكتمة. كان هناك خطب في مستوى الصوت، حيث كان صوت ضحكات الناس على الشاشة يختفي فجأة، وكأنه يبتلع داخل أنبوب أشعة الكاثود الخاص بالتلفزيون. عندما حدث ذلك، بدت الغرفة أكثر صمتًا مما كانت عليه من قبل. كان الأمر غريبًا بشكل مخيف، وفي النهاية نهضتُ وأطفأت التلفزيون.

عدنا إلى غرفتنا، واستلقينا تحت أغطية الفُتون، جنبًا إلى جنب. بمجرد أن أطفأنا الأنوار، ساد صمت رهيب. بدا وكأن المطر قد توقف أيضًا. لم نعد نسمع صوت تساقط المطر في المسافة.

"لن نتعجل في المغادرة صباحًا، أليس كذلك؟" قالت موموكو بهدوء.

"يبدو ذلك جيدًا،" أجبتُها، لكن عقلي كان مشغولًا في مكان آخر. كنت أحدق في السقف وسط الظلام. أخبرتني موموكو من قبل أنها لا تستطيع النوم حتى مع ضوء خافت، لذا كانت الغرفة حالكة السواد تمامًا. ومع ذلك، وبينما كنت مستلقية هناك وعيناي مفتوحتان، اعتدت تدريجيًا على الظلام، وأصبحت أرى خيالات الأشياء في الغرفة، بشكل خافت.

بعد لحظة، ناديت موموكو بهدوء، وأنا أعلم أنها بجانبي رغم أنني لم أكن أستطيع رؤيتها.

"هل أنتِ مستيقظة؟"

"نعم؟" أجابت فورًا وكأنها لم تكن نائمة أبدًا.

"هل يمكننا التحدث للحظة؟" سألتُ بصوت خافت، ما زلت أحدق في السقف.

"بالطبع، أنا أيضًا أشعر برغبة في الحديث."

"يتعلق الأمر بما قلتِه بعد ظهر اليوم..."

"ماذا كنا نتحدث عنه؟"

"مرضك..."

"آه، صحيح." توقفت للحظة قبل أن تجيب.

"هل... هل هو خطير حقًا؟" سألتُها دفعة واحدة، وكأنني أقرأ سطرًا من نص مسرحي. بدا صوتي يائسًا وسط الظلام.

"نعم. إذا فكرتِ في الأمر بهذه الطريقة، فهو خطير جدًا. لكن إذا نظرتِ إليه من زاوية أخرى، فهو ليس بذلك السوء."

"ماذا تعنين؟"

"هممم..." مدّت موموكو الصوت حتى تحول إلى أنين. "ما أعنيه هو، كما تعلمين، هناك أشخاص يموتون فجأة في حوادث أو بسبب مرض مفاجئ، ولا تتاح لهم الفرصة لتوديع أي شخص. مقارنةً بهم، ربما أكون محظوظة جدًا. لا يزال لدي الوقت لفعل كل ذلك."

"تقصدين..."

"لا، لا داعي للقلق كثيرًا. ليس الأمر كما لو أنني سأموت الآن أو أي شيء من هذا القبيل. قبل فترة، ذهبت إلى المستشفى، وأزالوا رحمي، وأجروا بعض العمليات الأخرى، والآن أذهب بانتظام إلى المستشفى، وأقوم بالكثير من الأشياء..."

"إنهم يحاولون معرفة حالتي الصحية. أعتقد أن هذا شيء سأحتاج إلى مراقبته خلال السنوات القليلة المقبلة."

"وهل هذا السبب في عودتك إلى عمي؟"

"لم يكن الأمر كما لو أنني قررت العودة فور علمي بمرضي. لم يخطر ببالي ذلك في البداية. لكن ذات يوم، أثناء وجودي في المستشفى، كنت أشعر باكتئاب شديد، فرأيت حلمًا."

"حلم؟"

استدرت نحو موموكو في الظلام، لكن تعابير وجهها كانت غير واضحة.

قالت بصوت هادئ: "في الحلم، كنتُ على متن قارب يستعد لمغادرة الميناء. لا، في الحقيقة، أظن أنني كنتُ أنا القارب. كنتُ أجدف نحو الأفق، وكل شيء هناك بدا بعيدًا وواضحًا. كنت أعلم يقينًا أنه ما إن أصل إلى هناك، فلن تكون هناك عودة. وعندما التفتُّ، رأيت رجلًا واقفًا على الرصيف، يلوّح لي. عرفت من النظرة الأولى أنه ساتورو. أحسستُ بعمق أننا لن نلتقي مجددًا، فحاولت أن ألوّح له بكل قوتي. لكن القارب كان أسرع مما تخيلت—ابتعد بسرعة، حتى صار ساتورو أصغر وأصغر، إلى أن اختفى. ثم لم يتبقَّ شيء. كنتُ وحدي، أنجرف في المحيط. هكذا كان الحلم."

سمعتها تتحرك في الفراش بجانبي، ثم ضحكت بخفة.

"يبدو الأمر سخيفًا، لكن عندما استيقظت من ذلك الحلم في سريري بالمستشفى، بكيت. بكيت كثيرًا. كنت أعلم أنه مجرد حلم، ومع ذلك، لم أستطع التوقف. دمعة تلو أخرى، ثم بدأت أتنهد، ثم أنتحب. لا أذكر متى بكيت بهذا الشكل آخر مرة. كنت محطّمة. شعرت أنني وصلت إلى حدي. وعندها فقط أدركت... أنني أريد أن أراه مجددًا. مهما حدث. أليس ذلك غريبًا؟"

"لا أعتقد أنه غريب." قلتُ وأنا أهز رأسي في الظلام. حاولت تخيّل وحدتها، لكن لم أستطع.

قالت بصوتها الهادئ: "بل هو غريب بالتأكيد. لكن لهذا السبب عدتُ، رغم أنني لا زلت أشعر بالخجل."

"وهل ما زلتِ لا تنوين إخباره عن مرضك؟"

"لا. لا أنوي ذلك." أجابت بحزم.

"لكن... لماذا؟"

مكتبة
t.me/soramnqraa

"لأني لا أريد أن أكون عبئًا عليه."

"لكنه أقوى بكثير مما تعتقدين."

"صحيح. أعرف أنه قوي. لكنه ليس السبب. المسألة ليست في تحمله. بل في مشاعره. لا أريد أن أجرحه مرة أخرى. ليس بعد كل شيء."

"ولكن، إذا لم تخبريه..." بدأتُ، لكنها قاطعتني.

"فلن يعرف أبدًا. أعلم."

"لكنكِ أخبرتِني أنتِ!"

ارتفع صوتي رغمًا عني.

قالت بهدوء: "كنت بحاجة أن أقولها لشخص ما. أردت أن أنفتح. عن رحيلي. عن مرضي. وكنت أعلم أنكِ، إن طلبتُ منكِ ألا تخبريه، فستحفظين سري."

"هذا ليس عدلًا..." همست، وانفجرت بالبكاء. "هذا ليس عدلًا."

"أعرف. أنا آسفة، تاكاكو. عندما عانقتِني في الحمام... كنتُ سعيدة حقًا. أنتِ فتاة طيبة. ولهذا السبب... يحبك ساتورو."

أخفيت وجهي تحت الغطاء، ودموعي تسيل على خديّ. ظللت أتمتم:

"هذا ليس عدلًا... هذا ليس عدلًا..."

رددت العبارة مرارًا حتى نمتُ من شدة البكاء.

في صباح اليوم التالي، تحت سماء رمادية، ودّعنا صاحبة النزل وهارو. وكما فعلت يوم وصولنا، انحنت مومو كو عند الباب بانحناءة رسمية عميقة. ضحكت صاحبة النزل وهي تحاول أن تثنيها، لكنها أصرت. ولوّحت هارو لنا مبتسمة: "أراكما لاحقًا!"

بدت مومو كو وكأنها استعادت حيويتها المعتادة. وبينما كنا ننزل الجبل معًا، أشارت إلى الزهور وقالت: "انظري، الزنابق بدأت تتفتح... الأوراق بدأت تكتسب لونًا جميلًا هناك".

أجبتها بابتسامة، محاوِلة أن أبدو مبتهجة. لم أكن أعرف ما الذي يمكنني فعله أكثر من ذلك.

افترقنا تلك الليلة عند محطة شينجوكو. وسط الحشود المتدفقة، وقفت مومو كو أمام البوابة، وانحنت لي بعمق.

"شكرًا لكِ، تاكاكو." قالتها بصوت عذب.

"لقد قضيت وقتًا رائعًا." كان ابتسامها متوهجًا تقريبًا. وبينما كنت أنظر إليها، تجرأت وسألت: "ماذا ستفعلين الآن؟"

"سأعود إلى المكتبة."

"لا، ليس هذا ما أعنيه. أعني بعد ذلك."

قالت موموكو: "هممم..." وعقدت ذراعيها. "سأجد طريقة ما."

كان هذا كل ما قالته. ثم استدارت بسرعة على عقبيها واختفت بين الحشود.

وقفت هناك أحدق، حتى بعد أن فقدت رؤيتها وسط الجموع. حاولت أن أتخيل ما الذي قد يحدث بعد ذلك، لكن المشاعر التي أثارتها داخلي كانت أكثر مما يمكنني تحمله.

10

اتصل العم ساتورو بعد يومين، في وقت ما قبل الظهر. عندما رأيت رقمه يظهر على هاتفي المحمول، استطعت بالفعل تخمين ما حدث.

"آسف لإزعاجك أثناء العمل،" قال بنبرة رتيبة منخفضة بمجرد أن التقطت الهاتف. "هناك رسالة تنتظرك عندما تمرين بالمكتبة..."

إذًا، هذا ما حدث. أطلقت زفرة طويلة. لم يكن عليَّ أن أتركها ترحل بهذه السهولة. لكن حتى لو كنت أعرف أن هذا سيحدث، فماذا كنت لأفعل بحق السماء؟

موموكو لم تلعب بنزاهة. كنت أعلم ذلك. وبينما كنت أعصر هاتفي في يدي، شعرت بالغضب يتصاعد بداخلي.

"تاكاكو؟" لم أكن قد نطقت بأي كلمة لفترة طويلة حتى أن عمي ناداني، وكأنه بدأ يشك في أنني ما زلت هناك.

"أنا قادمة حالًا."

"وماذا عن العمل؟" سأل عمي عندما أغلقت الهاتف.

هذا ليس عدلًا.

هذا ليس عدلًا.

ظللت أكرر الكلمات مرارًا وتكرارًا في رأسي بينما كانت الحافلة تقلني إلى جينبوتشو. *هذا ليس ما يفعله البالغون.* استطعت أن أفهم بعضًا مما كانت تشعر به. أن تكون مفقودًا لسنوات، ثم تعود فجأة فقط لتقول إنك مريض. يمكنني أن أرى كيف قد يتردد المرء في قول شيء كهذا. لكن إن كانت تحب عمي حقًا، فهذا سبب أقوى لتخبره. وماذا سيحدث لعمي عندما تتركه مرة أخرى؟ كان الأمر صعبًا بما فيه الكفاية عليه في المرة الأخيرة عندما رحلت دون أن تقول شيئًا.

كنت في صف عمي. تمامًا كما كان دائمًا في صفي. ولهذا السبب لم أستطع أن أسامح مومو‌كو على اختفائها مجددًا. كان الغضب يتصاعد بداخلي. لم أستطع كبحه. كنت غاضبة. غاضبة أكثر من أي وقت مضى. كان جسدي يرتجف.

عندما وصلت إلى المكتبة، أراني عمي الملاحظة التي تركتها لي.

كان مكتوبًا عليها: "شكرًا لك. رجاءً اعتني بنفسك."

مزقتها إلى قطع صغيرة وتركته يتناثر على الأرض.

نظر إليَّ عمي مذهولًا.

"هذا ليس عدلًا. هذا جبن. لا أصدقها. لم ترني إلا جانبها الجيد، ثم رحلت. لقد هربت فحسب."

"تاكاكو؟" كان عمي ينظر إليّ بقلق. "أمم، تاكا"—

قاطعته فورًا، ورفعت رأسي عاليًا، وأعلنت بثقة: "أنا سأخرق وعدي. في الحقيقة، لم يكن وعدًا حتى. لقد طلبت مني فقط ألا أخبرك".

"هاه؟"

جلس عمي هناك فاغر الفم بينما رويت له باختصار ما قالته لي موموكو في تلك الليلة. كنت أعلم جيدًا أن ما أقوله سيصدمه، لكنه كان يملك الحق في المعرفة. ولم يكن هناك أحد سواه يستطيع إيقاف موموكو.

لكن عمي لم يبدُ مصدومًا. وعندما أنهيت كلامي، لم يقل أكثر من أن ابتسم قليلًا وقال: "فهمت."

"كنت تعرف؟"

"لا على الإطلاق."

"لكن..."

تنهد عمي تنهيدة طويلة، وحاول أن ينهض، لكنه كاد أن يسقط مجددًا على كرسيه. "كنت أعلم أن عودتها لا بد أن يكون لها سبب كبير. كما قلت من قبل، عندما تتخذ قرارًا، لا تغير رأيها. ولهذا، عندما عادت، شعرت بالخوف من أن أطرح الكثير من الأسئلة. يا لي من أحمق. لم أتحدث إليها بوضوح، وهكذا صار الحال"، قال ذلك بصوت استسلاميّ خافت .

اقتربت منه، نظرت إليه مباشرة في عينيه، وقلت: "لا يزال هناك وقت. لكن إن تركتها ترحل الآن، فلن تراها مجددًا. حتى لو لم تكن تعرف ما الذي سيحدث، لا يمكنك أن تدعها تذهب. هل تفهم ما أعنيه؟ الشخص الوحيد الذي يستطيع إيقافها هو أنت."

"حسنًا..." كان هذا كل ما قاله. صوته افتقر لأي حزم.

"إذًا، انهض واذهب!" قلت بحدة. "عمي، هل تذكر عندما قلت لي ألا أهرب من كل شيء؟ الأمر نفسه الآن. إن استسلمتَ، ستستسلم مومكو أيضًا. أنا سأبقى وأدير المتجر. اذهب أنت وابحث عنها."

"لكنني لا أعرف إلى أين يمكن أن تذهب..." لا يزال يحمل في عينيه ذلك المظهر العاجز.

"ألا يخطر ببالك شيء؟ مكان قد تفكر مومكو في الذهاب إليه أولًا؟" سألته.

حدق في وجهي للحظة، مظهر الدهشة بادٍ عليه.

"لا."

"مستحيل. لا بد أن هناك مكانًا. مومكو زوجتك."

"صحيح، لكنني أقول لك إنني لا أعلم."

"فكّر بمكان يعني لها شيئًا خاصًا."

ظل يحدق فيّ بصمت طويلًا، ثم فجأة قال: "أوه! هناك مكان. ربما—لا، لا بد أنها هناك."

"تذكرت؟" سألت.

"نعم. قد أستطيع اللحاق بها قبل فوات الأوان"، قال وهو يومئ بحزم هذه المرة.

قفز من كرسيه. "تاكاكو، هل يمكنني أن أطلب منك معروفًا آخر؟"

"بالطبع."

"أنا لن أدفع لك مقابل ساعات العمل، صحيح؟"

"أعلم ذلك، أيها الأحمق!" صرخت. لم يكن هناك وقت لهذا الهراء الآن. أخيرًا، انطلق عمي راكضًا خارج المتجر كما لو أنني ركلته في الخلف.

آمل أن يتمكن من إيقافها هذه المرة.

وقفت عند مدخل المتجر، أراقبه وهو يركض بسرعة عبر شارع ساكورا. بدا وكأنه يصغر ويصغر مع كل خطوة. للأسف، بسبب ظهره السيئ، كان يتوقف بين الحين والآخر ليضرب أسفل ظهره، لكن هكذا هو الأمر، كما تعلمون.

بعد أن اختفى عمي عن الأنظار، وقفت للحظة في شرود، أحدق إلى قطعة السماء الضيقة الظاهرة عبر الفجوة بين المباني. كان نفس ذلك السماء الزرقاء المائية، مع السحب الصغيرة المتناثرة ببطء وكأنها سرب من الأسماك.

"ما الذي حدث؟ المتجر مفتوح، صحيح؟"

رجل في منتصف العمر توقف أمام المتجر.

ألقى علي نظرة فضولية ثم دخل إلى الداخل.

تبعته إلى الداخل.

"مرحبًا بك في مكتبة موريساكي،"

قلت. لقد أديت دوري.

الآن الباقي كان متروكًا لعمي.

جلست في مكاني القديم عند الطاولة، في انتظار عودة مموكو وعمي.

11

كانت الأشجار على جانبي الطريق قد أسقطت آخر أوراقها عندما التقيتُ بوادا مجددًا.

في تلك الليلة، مررتُ بمقهى "سافور" لأول مرة منذ قرابة الشهر. لم أشعر برغبة في الذهاب إليه طوال تلك الفترة. حتى عندما كنت أمرّ بجواره في الشارع، كنت أكتفي بالمضي قدمًا. ولكن مع ازدياد برودة الطقس يومًا بعد يوم، وجدتُ نفسي أفتقد قهوتهم.

فتحتُ الباب وقلت: "أوه."

كان وادا يجلس عند طاولة في الخلف. التقت نظراتنا على الفور. لقد لاحظني أيضًا. فكّرت، *لقد أفسدتُ الأمر، أليس كذلك؟* وحاولتُ التراجع سريعًا مكتفيةً بتحية سريعة، لكنه وقف بانضباط وانتظرني حتى أقترب.

"من الجيد رؤيتك"، قلتُ، وأنا أشعر ببعض الارتباك أثناء جلوسي أمامه.

"مضى وقت طويل" أجاب بصوته الهادئ المعتاد.

جاءت النادلة تحمل كوبًا من الماء وسألت: "هل أنتِ مستعدة لطلب شيء؟"

في تلك اللحظة، كنتُ لا أزال أفكر في أنني قد أكتفي بتحيته ثم أغيّر مكاني وأطلب قهوتي بعيدًا. لذا قلت: "ليس بعد" أومأت النادلة وابتعدت وهي لا تزال تبتسم.

مضت لحظات قصيرة قبل أن يتحدث وادا: "كيف حالكِ؟"

"أمم... لا بأس، أعتقد؟ وأنت؟" أجبتُه.

"نفس الشيء تقريبًا"، قالها بابتسامة، ثم ارتشف قهوته.

تساءلتُ إن كان لا يزال ينتظر حبيبته السابقة؟ لكنه أخبرني بنفسه أنه قد انتهى من ذلك. وبينما كانت تلك الفكرة تدور في رأسي، قال وادا فجأة: "كنتُ في انتظارك."

ثم مدّ يده إلى حقيبته وأخرج كتابًا ورقي الغلاف. أدركتُ حينها أنه *الصداقة* للكاتب سانيتسو موشانوكوجي، الكتاب الذي كنتُ قد تركته خلفي في تلك الليلة قبل رحلتي. مع كل ما حدث، كنتُ قد نسيته تمامًا.

لم أكن لأتخيل أبدًا أن وادا احتفظ به طوال هذا الوقت.

"أبقيته عندك طوال هذه الفترة من أجلي؟" سألته بينما كان يناولني الكتاب.

"في تلك الليلة، لاحظتُ أنكِ نسيته بعد مغادرتك. سألتُ صاحب المقهى إن كان بإمكانه الاحتفاظ به حتى تعودي، لكنه قال إنه لا يعرف من تكونين. زعم أنه لم يركِ من قبل."

كان من المستحيل أن يكون المالك لا يعرفني. لقد رأينا بعضنا عشرات المرات. كنتُ في الأساس واحدة من الزبائن المعتادين.

"لهذا السبب أبقيته معي. لم يكن لديّ طريقة للتواصل معكِ، لذا كنتُ أمرّ من وقت لآخر لأرى إن كنتِ هنا. توقيتي لم يكن موفقًا، لأنني لم أركِ أبدًا منذ ذلك اليوم. شعرتُ بالذنب حيال ذلك، لكن الانتظار كان مملًا، فانتهى بي الأمر بقراءة كتابكِ بالكامل."

استمعتُ إليه وهو يخبرني بذلك بينما كان فمي مفتوحًا من الذهول. ثم رأيتُ صاحب المقهى يقف عند المنضدة، يلمّع الأكواب متظاهرًا بأنه لا يعرفني. التقت أعيننا للحظة قصيرة، وعندها فقط أدركتُ حقيقة ما حدث.

يا لي من حمقاء. ربما لم يكن يعلم حتى أن وادا كان ينتظر شخصًا آخر.

لقد أقلقتُ نفسي بلا سبب.

"أنا آسفة جدًا لكل هذا"، قلتُ، وأنا أنحني لوادا.

"لا، في الواقع، كانت فرصة جيدة لقراءة كتاب ليس *صعود التل*" قالها ضاحكًا بمرح.

بعد هذا التحول المفاجئ، شعرتُ وكأنني لم أعد أستطيع كبح مشاعري أكثر. خفضتُ نظري، وأحسستُ بكتفيّ يرتجفان قليلًا.

"هل أنتِ بخير؟" سأل وادا، وهو ينظر إليّ بقلق. ولكن عندما أدرك أنني لم أكن سوى أضحك، بدأ هو الآخر بالضحك. شيئًا فشيئًا، بدأنا نشعر بالراحة مع بعضنا من جديد. عندها فقط، أدركتُ أنني كنتُ سعيدة حقًا برؤيته.

لا، بل كنتُ مبتهجة لرؤيته مرة أخرى. هذا حقيقي. وجوده جعلني سعيدة للغاية، ولم يكن يهمّني ما إذا كان يشعر بالمثل أم لا. لم يكن هناك جدوى من القلق بشأن ذلك. لم يكن هناك شيء يمكنني فعله لتغيير هذه الحقيقة.

"أمم..." رفعتُ بصري إليه مجددًا وقلت: "أنا سعيدة لرؤيتك."

لم أكن أستطيع المغادرة دون أن أشكر صاحب المقهى. كنتُ ممتنة له حقًا. لولاه، لما كنتُ قد التقيتُ وادا مجددًا. حتى لو كنتُ قد طلبت مئة كوب قهوة، كنتُ سأظل أدين له بهذا اللقاء.

"أنا سعيد برؤيتكِ أيضًا"، قال وادا، ثم أضاف ضاحكًا: "أعني، إن لم أركِ، لكنتُ قد اقترفتُ جريمة سرقة، لذا هناك هذا." توقف لحظة، ثم هزّ رأسه وقال: "لا، هذا ليس صحيحًا. أردتُ أن أتحدث معكِ مرة أخرى." حكّ مؤخرة رأسه بخجل.

كنتُ محرجةً جدًا لدرجة أنني لم أستطع النظر إليه مباشرةً. بدلاً من ذلك، حدّقتُ إلى الخارج، حيث انعكست صورتنا على زجاج النافذة. في الخارج، كانت رياح الشتاء القاسية تهبّ، والبرد بدا لا يُطاق. لكنني شعرتُ بامتنان عميق لأننا تمكّنا من الالتقاء مرة أخرى، وجهاً لوجه.

"حسنًا إذن"، قال وادا وهو يتمطّى بسعادة، "دعيني أتكفل بالحساب اليوم شكرًا لكِ على إعطائي فرصة لقراءة الكتاب. لن يزعجكِ ذلك، أليس كذلك؟"

رفعتُ إصبعًا وابتسمتُ قائلة: "حسنًا، ربما كوب واحد فقط."

"ما زلتِ متواضعة؟" قال مدعيًا الصدمة للحظة، ثم استدار نحو النادلة التي كانت تمرّ بجوارنا وأشار إليها ليطلب منها القدوم.

12

تقف مكتبة موريساكي وحيدة عند زاوية شارع مكتظ بمكتبات الكتب المستعملة. إنها صغيرة وقديمة، وليس هناك الكثير مما يمكن النظر إليه. لا يتردد إليها الكثير من الزبائن، وبما أن مجموعتها محدودة، فإن الأشخاص غير المهتمين بكتبها المتخصصة نادرًا ما يلقون عليها نظرة ثانية.

لكن هناك أشخاصًا يحبون هذا المتجر، وطالما أنهم مخلصون له، فهذا يكفي. هذا ما كان يقوله دائمًا عمي ساتورو، مالك المتجر، بابتسامة. وأنا أتفق معه. لأنني أحب المكتبة وأحب صاحبها.

اليوم، أنا في إجازة من العمل، وفي طريقي إلى جيمبوتشو لأول مرة منذ سنوات. اتصل بي عمي الأسبوع الماضي. من نبرة الحماس في صوته عبر الهاتف، كنت أعرف أن شيئًا ما قد حدث حتى دون أن يخبرني بذلك.

"قالت إنها أرادت أن تراكِ أيضًا. لقد مر وقت طويل"، قال عمي. كانت حالتها تتحسن، وفي الوقت الحالي، كانت الأمور تبدو جيدة. كان من المريح سماع ذلك، ولو لفترة مؤقتة. مجرد فكرة رؤيتهما معًا بعد كل هذا الوقت جعلتني أسير بخطوات أسرع وسط الشارع المزدحم.

في ذلك اليوم الذي انطلق فيه عمي للبحث عنها، لم تعد موموكو إلى المكتبة. لكنه تمكن من العثور عليها. ذهب إلى المعبد حيث أقاموا مراسم تأبين لطفلهما الذي لم يولد. قال إنه عندما وجدها، كانت واقفة بالقرب من النبع في مؤخرة المعبد لفترة طويلة. لم أسأله عن تفاصيل ما قاله كل منهما للآخر، فهذا أمر يخصهما وحدهما. لكن لم يكن بإمكانهما أن يقولا لبعضهما أي أكاذيب أخرى في المكان الذي كان طفلهما نائمًا فيه. ربما كان أهم شيء بالنسبة لهما هو أن يبوح كل منهما بمشاعره الحقيقية للآخر. من المحتمل أنه في أعماقها، كانت تتمنى لو أن عمي جاء ووجدها في نفس المكان الذي تركته فيه قبل خمس سنوات.

"عندما رأتني قادمًا، انهارت في نفس البقعة. صرخت كطفلة صغيرة وبدأت تبكي. في تلك اللحظة، أحببتها من أعماق قلبي. انهمرت الدموع من عيني. شعرت وكأنني أخيرًا أواجه كل الأشياء التي كنت أتجاهلها، كل الأشياء التي تهربت منها. احتضنتُ موموكو بين ذراعي، وقلت لها: *لا ترحلي مجددًا* مرارًا وتكرارًا. *أنا بحاجة إليكِ*. قبل أن أراها هناك، لم أكن لأتمكن حتى من قول شيء بسيط كهذا."

عندما عاد عمي إلى المتجر وحده في وقت متأخر من تلك الليلة، أخبرني بكل ما حدث. لكنه لم يكن يبدو مكتئبًا لعدم بقائها معه، بل على العكس، كان يبدو مبتهجًا. "لقد وعدتني"، قال في النهاية. "سنواصل الحديث عن كل شيء، وفي يوم ما ستعود."

ثم، بعد عامٍ كامل، عادت موموكو. قالت إنها احتاجت إلى بعض الوقت لترتيب أفكارها، وإلا لما كان ذلك عادلًا بالنسبة له. أخبرني عمي أنها قالت هذا عندما ودّعته في ذلك اليوم. لقد كانت عنيدة كما كانت دائمًا.

بعد أن عبرت الشارع المزدحم، سلكت طريق ساكورا ستريت. في هذا الزقاق الضيق، مررتُ بجانب صف من متاجر الكتب المستعملة، ثم ظهر متجر عمي أمامي مباشرة. دفعتُ الباب ليفتح بقوة، فاصطدم بالإطار، ورأيت سابو جالسًا عند المنضدة.

"مرحبًا، تاكاكو،" قال وهو يلوّح لي.

"أوه، سابو، أنت هنا؟ أين عمي؟"

قال ضاحكًا: "هذه ليست الحفاوة التي توقعتها منكِ. لقد خرج لتوصيل طلبية قبل قليل."

ثم سمعتُ صوتًا مألوفًا مفعمًا بالحيوية خلفي. التفتُّ لأجد امرأة صغيرة ذات شعر قصير جالسة خلف المنضدة.

"ماذا حدث لشعركِ؟" سألتُ مندهشة.

رفعت مومو‌كو يدها ولمست شعرها القصير المقصوص بإحكام فوق أذنها. "آه، نعم، قصصته. بصراحة، في البداية أردت حلقه تمامًا، لكن ساتورو منعني." ثم انفجرت بالضحك.

"يبدو رائعًا عليكِ"، قلتُ وأنا أجلس بجوارها. كان حقًا يليق بها.

"أترين ذلك؟" قالت بوجه متجهم قليلًا.

كان المتجر هادئًا كالمعتاد وقت الغداء. لم يتغير شيء كثير، عدا وجود مومو‌كو. وهذا وحده كان كافيًا ليمنحني شعورًا خفيفًا بالطمأنينة.

"بالمناسبة، تاكاكو، ما قصة أنكِ تملكين صديقًا؟" سألتني موموكو فجأة بصراحتها المعتادة.

"ماذا؟ من أين سمعتِ هذا؟" سألتها مصدومة.

أشارت بإصبعها نحو سابو. "منه."

"لا، لا، سمعتُ من صاحب مقهى سافور،" قال سابو وهو يضحك مجددًا.

"هل بدأتِ تطهين له من تلك الأطباق التي علمتُكِ إياها؟" سألت موموكو، تبتسم بمكر.

"لا—أعني، نعم، لكن ليس..." تمتمتُ مرتبكة.

ولم يرضِ ذلك موموكو، فاستمرت في التحقيق، حتى صرختُ أخيرًا: "كفى، هذا يكفي!"

في تلك اللحظة، سمعنا صوت الباب يُفتح. كان عمي قد عاد.

"أوه، تاكاكو، أتيتِ مبكرًا،" قال وهو يدخل.

وما إن دخل حتى قالت موموكو فورًا: "هيه، ساتورو، هل كنت تعلم أن تاكاكو لديها صديق؟"

"ماذا؟ لم أسمع بهذا قط. هل هذا صحيح؟ لماذا لم تخبريني؟" قال وهو يقترب مني ويحدق في عينيّ. "أنتِ تعلمين أنه يمكنك التحدث إليّ، أليس كذلك؟"

قالت موموكو وهي تصفق يديها: "وإذا تزوجت تاكاكو، فربما يمكنه أن يدير المتجر بدلًا منها. في النهاية، نحتاج إلى خليفة."

فجأة، فقد عمي أعصابه. "هذا ليس مضحكًا!" صرخ غاضبًا. "لماذا يجب أن أعطي المتجر لذلك الرجل؟"

ردت موموكو ببرود: "إن لم تكن قد قابلته بعد، فكيف تعرف أنه غير مناسب؟"

قهقه سابو وقال: "ربما حان وقت مغادرتي." ولوّح لنا، ثم خرج من المتجر بمزاج جيد جدًا، دون أن يودّعني أنا أو عمي.

بمجرد أن غادر، قلتُ لموموكو: "لم يستغرق الأمر طويلًا حتى جعلته ينقاد إليكِ، أليس كذلك؟" كنت مندهشة.

"مهلًا، لم أقصد ذلك. تحدثتُ معه فقط،" ردّت ببرود.

قال عمي: "لقد كانا هنا طوال الوقت. بالطبع فازت به. لم تكن لسابو أي فرصة." قالها وكأنها حقيقة لا جدال فيها، فانفجرنا موموكو وأنا بالضحك.

ثم نهضت موموكو فجأة واستدارت نحوي.

"موموكو موريساكي قد عادت إلى منزلها وتباشر العمل رسميًا!" قالت بابتسامة عريضة.

وقفتُ باستقامة، وأديت لها تحية عسكرية.

"مرحبًا بكِ في المنزل،" قلتُ. "كنا في انتظاركِ. وإذا اختفيتِ مرة أخرى، سأغضب منكِ جدًا."

ضحكت موموكو وقالت: "أنتِ من خرقتِ وعدكِ، لكن بصراحة، أنا ممتنة لأنك فعلتِ. شكرًا، تاكاكو. فلنكن صديقتين مجددًا." ثم قرصت خدي برقة. كنت

معتادة على ذلك منها، ومثل عمي تمامًا، بدأتُ أبكي، لكنني كنتُ بالفعل على وشك الانهيار.

قالت مومو‌كو، تضرب صدرها بفخر: "ربما يجب أن أطبخ شيئًا خاصًا الليلة من أجل تاكاكو. هل ستأتين معي للتسوق؟"

ابتسمت وقلت: "بالطبع. طعامكِ هو السبب الحقيقي لقدومي."

قال عمي: "تاكاكو، قبل أن تذهبي، كنت أفكر في ما تحدثنا عنه من قبل"—

لكننا تجاهلناه، وغادرنا من الباب الأمامي.

في الخارج، كانت السماء صافية، تعبرها ببطء غيوم بيضاء كبيرة. مددتُ ذراعي لأعلى، وأغمضتُ عينيّ، شاعرةً بدفء الشمس يلامس جفوني.

"إذا لم تسرعي، سأتركِ خلفي!"

سمعت صوتها.

فتحتُ عيني. كانت مومو‌كو تقف في الشارع أمامي، تستدير وتنظر إليّ،

وشمس الصباح تنعكس على شعرها القصير، وتبتسم.

"هيا، هيا!" لوّحت لي، ثم اندفعت إلى الأمام.

وقفتُ للحظة أراقبها من الخلف، ثم ركضتُ خلفها عبر الشارع.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ملاحظة المترجم:

أضع بين يدي القارئ العربي هذه الترجمة لرواية *أيام في مكتبة موريساكي* للكاتب الياباني ساتوشي ياغيساوا، وقد بذلت في إنجازها جهدًا كبيرًا لأكون وفيًّا للنص الأصلي، ناقلًا روحه الرقيقة، ولغته الدافئة، ومشاعره الصادقة التي تتسلّل إلى القلب بهدوء.

منذ صدورها في اليابان، نالت الرواية اهتمامًا واسعًا، وفازت بجائزة تشيودا، التي تُمنح للأعمال التي تسلط الضوء على حي جيمبوتشو، أشهر أحياء طوكيو المليئة بمكتبات الكتب المستعملة. وقد نجح الكاتب في التقاط جوهر هذا المكان، من خلال سرد بسيط لكنه عميق، يعبّر عن حب الكتب، والعزلة، والشفاء، والبدء من جديد.

راجعت الترجمة مرارًا وتكرارًا، فقرةً فقرة وسطرًا سطرًا، لأتأكد من دقة اللغة، وتطابق الضمائر، وسلاسة الأسلوب، ولأحافظ على النبرة الأدبية التي تميز بها العمل. أردت أن تصل للقارئ العربي التجربة كاملة، بكل ما فيها من دفء وصدق، كما لو أنه يقرأ الرواية بلغتها الأصلية.

أشكر كل من ساندني خلال العمل، وأتمنى أن يجد القارئ في هذه الترجمة نفس ما وجدته حين قرأتها للمرة الأولى: عزاءً هادئًا، وأملًا صامتًا، وحبًّا صادقًا للكتب والحياة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

telegram @soramnqraa

Days at the Morisaki Bookshop

رواية عن البدايات الجديدة، العلاقات العاطفية والعائلية، والسلوى التي تمنحها الكتب.

عندما يعلن صديقها هيديأكي، الرجل الذي كانت تتوقع الزواج منه، أنه قد خانها وسيتزوج من أخرى، تنهار حياة تاكاكو تمامًا. تفقد وظيفتها وأصدقاءها، وتغرق في اكتئاب عميق. لكن في خضم يأسها، تتلقى مكالمة من عمها ساتورو، الرجل الغريب الأطوار الذي يدير مكتبة كتب مستعملة في حي جيمبو تشو بطوكيو، والذي كرس حياته للمكتبة بعد أن هجرته زوجته موموكو قبل خمس سنوات.

تقبل تاكاكو عرضه للعيش في الغرفة الصغيرة فوق المكتبة دون مقابل، على أمل استعادة توازنها. لكنها تجد نفسها منجذبة إلى عالم الأدب الياباني، وتكوّن صداقات جديدة في المقهى المجاور، بل وتلتقي بمحرر شاب يمر هو الآخر بانفصال عاطفي مؤلم.

لكن عندما يعود هيديأكي إلى حياتها، تجد تاكاكو نفسها بحاجة إلى دعم عمها مرة أخرى، حيث تبدأ حياته هو الآخر بالانهيار. معًا، يكتشفان قوة الكتب في منح الدروس عن الحياة، الحب، والمضي قدمًا.

978-9933-10001-0001-5
100723
Arabila Publications